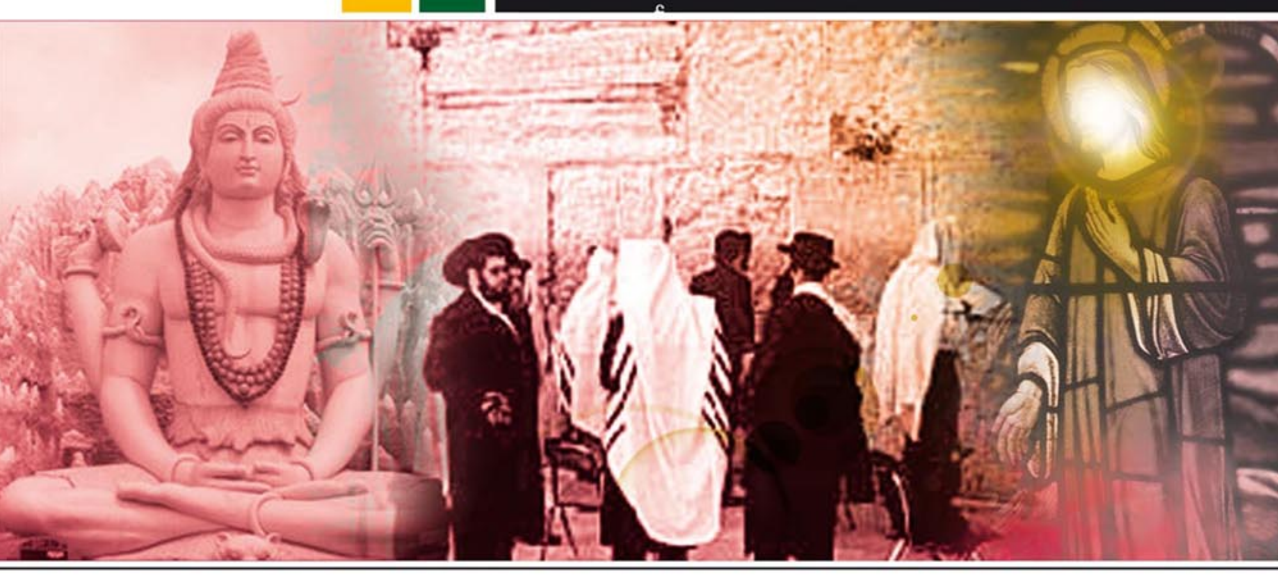
دروس في الأديان



سلسلة المعارف الإسلامية





الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



دروس في الأديان



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: دروس في الأديان

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعية المعارف الإسلامية

الطبعة الأولى: شباط 2007 - 1428 هـ

سلسلة المعارف الإسلامية

دروس في الأديان



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

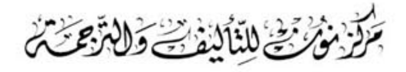
الدين والتدين ليس أمراً طارئاً على حياة البشرية على هذه الأرض، بل كان مرافقاً للإنسان من اليوم الأول الذي وطأت فيه قدماه الأرض، حيث كان الإنسان الأول وأبو البشرية آدم عليه السلام نبياً من أنبياء الله تعالى، وهكذا توالت الأنبياء والرسل، ليكملوا الشرائع للناس ويقوّموا الإعوجاج الذي يصيب البشرية في مسيرتها.

ورغم توالي الرسل وتأكيد الرسالات الإلهية رسالة بعد رسالة لم يمنع ذلك من حصول الانحرافات والاختلافات في كثير من الأمور الأساسية، فتعددت الأديان وتشعبت وكثرت.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك يهدف إلى التعريف بالديانات الأساسية الموجودة في هذا الزمن، والتي قد نكون أكثر احتكاكاً بها في حياتنا الاجتماعية أو السياسية، ومفصلاً تاريخ وعقائد وشرائع وحاضر هذه الديانات بأسلوب بسيط التناول ومضمون كافٍ للتعرف على هذه الديانات من جوانبها المتعددة،مستفيداً من مصادر متعددة، يعرض الأديان كما هي وبلسان أصحابها، وقد يلجأ بعد ذلك إلى أسلوب النقد، فعلى القارئ أن يلتفت إلى أن ما يعرض من عقائد ومفاهيم، بل حتى من تاريخ ونشوء، هو

بلسان أصحاب هذه الديانات، وقد لا يتوافق مع ما نعتقده كمسلمين.

فهذا الكتاب ليس بحوثاً علمية . في أغلبه . وإنما هو تعريف بتلك الأديان كما تُقدم نفسها، نسأل اللّٰه تعالى أن يفيد بها في معرفة هذه الأديان لكل طالب، والحمد للّٰه رب العالمين.



١

الفصل الأول

اليهودية

الدرس الأول

بنية المجتمع اليهودي

إن أفراد الإنسان كلهم من طينة واحدة، فكلهم من آدم، وآدم من تراب، وكذلك اليهود، فانحرافهم ليس ناشزاً ولا مختلفاً عن انحراف الإنسان بنحو عام، وعناية القرآن الكريم به وتسليط الضوء عليه ليس إلا بوصفه تجربة عميقة وكبيرة، دون أن يعني ذلك تمييزاً في أصل التكوين والجبلّة اليهودية.

والسبب في استمرار الشخصية اليهودية على انحرافها التاريخي، هو أن أصول هذا الانحراف قد تكرّست في الديانة اليهودية المحرّفة التي تربت عليها أجيالهم. ومن هنا نفهم اهتمام القرآن بهم كنموذج عميق ومثل للناس في هذا الجانب، فقد وضّح الصورة القلقة التي يتّسمون بها في سلوكياتهم داخل المجتمع.

إن المستعرض لتاريخ بني إسرائيل ليأخذه العجب من فيض الآلاء التي أفاضها اللَّه عليهم، ومن الجحود المتكرر الذي قابلوها به. فلم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، حتى قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم!

ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عجيبة غريبة. كانوا دائماً يدّعون أنهم هم

وحدهم المهتدون، وهم وحدهم شعب الله المختار، وهم وحدهم الذين ينالهم ثواب الله، وأن فضل الله لهم وحدهم دون شريك.

طباع اليهود وعنصريتهم:

لم يحدث القرآن الكريم عن أمة من الناس كما حدّث عن بني إسرائيل، فهم الذين ظلموا وتمردوا وحرّفوا وبدلوا شرع الله، وكان الاعلان الإلهي **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾**[١] ولذلك تجدهم أينما حلوا لا يستطيعون التعايش مع أي مجتمع من مجتمعات الأرض بسبب التعبئة العنصرية الاستعلائية والحقد على بني البشر، وإذا كان هناك من اضطهاد تعرضوا له عبر التاريخ فمرجعه إلى تلك الخصائص اللاإنسانية التي تربوا عليها.

لقد قسم اليهود الناس إلى قسمين: اليهود والغوييم، واليهود هم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه، ولا يسمح بعبادته إلا لليهود. ويقول إلههم لهم: اتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً، أنا يهوه إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، إياك قد اختار الرب أن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل... بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار قدميك، اليهود من جوهر الله، كما أن الولد من جوهر أبيه، وكما أن الإنسان يعلو البهيمة، كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض، لأن نطفة الغرباء كنطفة الحصان[٢].

لهذا يعتقد اليهود أن الأمم الأخرى هم كفرة، بهائم، أنجاس، مخلوقون من طينة حيوانية نجسة. «اليهود هم وحدهم بشر، أما الشعوب الأخرى، فليست غير أنواع مختلفة من الحيوانات»[٣]. ويقول ثيودور هرتزل الأب الروحي للصهيونية:

(١) الأعراف الاية١٦٧

(٢) خطر اليهودية على النصرانية والإسلام. الأب طانيوس منعم ص٢٧ ـ ٥٧.

(٣) م.ن، ص٥٨.

«إن جنسنا آكثر فاعلية في كل شيء من باقي شعوب الأرض. ويقول بن غوريون: إنني أؤمن بتفوقنا الخلقي والفكري بحيث يستخدم كنموذج لإصلاح الجنس البشري»(1).

«يجب ضرب الغرباء ضربة قاصمة ولا خلاص لإسرائيل ما لم تستأصل شأفتهم عن وجه الأرض. ومن قتل نفساً من إسرائيل فإن اللّه يحاكمه كما لو أنه قتل العالم بأسره»(2).

ومن جملة تعاليمهم العنصرية أنه لا يعقد اليهودي على المرأة الغريبة (زواج بشري) بل هي مباحة، لأن المرأة غير المتحدرة من أبناء إسرائيل هي بهيمة!

الأخلاق اليهودية:

إن دراسة تحليلية لبعض النصوص والمفاهيم عند اليهود، تفيد كثيراً في فهم نفسيتهم، وفي معرفة كيفية تعاطيهم مع شؤون الحياة. والغرض من ذلك، هو العمل على مواجهتهم ودرء خطرهم.

١ ـ العدوانية والعنف:

إن عقدة الاستعلاء مقرونة بنظرة الاحتقار والشك إلى كل من سوى اليهود، ولّدت عند اليهود روحاً عدوانية تجاه سواهم، ولذلك لم يكونوا ليتوانوا عن استخدام العنف كلما سنحت لهم الفرصة.

إن تواريخ الشعوب تتحدث عن حضارات، وعمران، وثقافات، وعلماء، أما تاريخ اليهود، فلا يروي لك إلا أخبار المعارك، وعدد القتلى، والدسائس والفتن، وعمليات الغدر والنفي والتشريد والقهر.

يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس لليهود عندما حاصر تيطس أورشليم: «يجب أن

(١) نفس المصدر، ص٥٧.

(٢) نفس المصدر، ص٥٩.

تعلموا أن الله هو الذي سلط هذه الأمة عليكم لسوء أعمالكم ورداءة أفعالكم، وكثرة ذنوبكم، لأنكم ارتكبتم المحارم واستجزتم المآثم والجرائم واستسهلتم الكبائر العظائم، وسفكتم الدماء وأغضبتم إله الأرض والسماء وغششتم الناس وأهلكتم النفوس، ونجستم هيكل اللَّه القدوس وقتلتم كهنته وصلحاء أمته ظلماً وعدواناً».

لم تترك التوراة الموجودة صفة سيئة إلا وألصقتها باليهود، مع أنها من عمل أيديهم... كتبوا في توراتهم لعنتهم ومذلاتهم وخزيهم... الكذب والسرقة والقتل والكفر والزنا والرجسات مجتمعة، تلذذ بذكرها مزورو التوراة، وغدت عرفاً صهيونياً مارسه الأنبياء كما يزعمون والملوك والقادة والشعب والمدن والقرى.

جاء في سفر العدد عن أدب الحرب عند اليهود: «هوذا شعب كلبؤة يقوم وكشبل ينهض لا يربض حتى يأكل الفريسة ويشرب دم الصرعى»[1].

إن المفاهيم الدينية المزعومة عند اليهود تظهر وكأن غاية تشريعهم تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً، والشريعة تركز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين[2].

إن القراءة للمحطات التاريخية، التي أرخ لها العهد القديم تظهر مدى عدوانية بني إسرائيل وبعد ذلك اليهود، وتتحدث نصوص من العهد القديم بشكل مستقبح، عن عمليات إبادة مارسها يهود ضد أعدائهم.

وتبقى هذه النصوص هي الشاهد الحي على عدوانيتهم. ومن هذه النصوص النص الآتي الذي يبرز عدوانيتهم بشكل يخلو من الحد الأدنى من القيم الإنسانية:

«فاضرب أهل تلك المدينة بحد السيف وأسلبها بجميع ما فيها حتى بهائمها

(١) الإصحاح ٢٣، فقرة ٢٤.

(٢) التوراة تاريخها وغاياتها ترجمة سهيل ديب، ص٣٢.

بحد السيف، وجميع سلبها آجمعه إلى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبها جملة للرب إلهك فتكون ركاماً إلى الدهر لا تبنى من بعد»[1].

٢ ـ جبن اليهود:

خصلة أخرى في اليهود يصورها القرآن الكريم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾[2] أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق! حياة فقط! إنهم اليهود في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم سواء. وما تُرفع رؤوسهم إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجباه جبناً وحرصاً على الحياة.

إن بني إسرائيل واليهود، رغم ادعائهم أنهم شعب الله المختار فإنهم كانوا يخافون الموت، وكانوا شديدي الحرص على الحياة، ولذلك كثيراً ما ندموا على موقف قد يحصل لهم فيه أذى أو تهلكة، وكثيراً ما جبنوا وخارت قواهم في ساعات الشدة.

تبرز من صور جبنهم وتفضيلهم للذل والعبودية صورة موقفهم يوم الخروج من مصر مع موسى عليه السلام فقد جاء في سفر الخروج: «ولما قرب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون في أثرهم، فخافوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى: أمن عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا فأخرجتنا من مصر؟ أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين دعنا نخدم المصريين فإن خدمتنا لهم خير من أن نموت في البرية»[3].

وعندما وصلوا إلى أرض فلسطين وعرفوا الكنعانيين والحثيين واليبوسيين وسائر الشعوب المقيمة في فلسطين وما حولها، أصابهم الوهن أكثر، ووجدوا أن هؤلاء الأقوام عمالقة وأنهم معرضون للهلاك على أيديهم فعبّروا عن خوفهم وجبنهم بطريقة أكثر خزياً من تعبيرهم عندما كانوا في البرية بعد الخروج من

(١) سفر التثنية، الاصحاح ١٣، فقرة ١٥ ـ ١٦.

(٢) البقرة: من الآية ٩٦

(٣) الاصحاح ١٤، فقرة ١٠ ـ ١٢.

مصر : «فرفع كل الجماعة أصواتهم وصرخوا، وبكى الشعب في تلك الليلة وتذمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: يا ليتنا متنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية، لماذا أتى الرب بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر»[1].

٣ ـ الغدر خلق يهودي:

إن صفة الجبن تدفع للغدر لأن الجبان يهرب دوماً من ساحة المواجهة، ويعتمد المكر ليغدر في الوقت الذي يمكنه أن يفعل ذلك.

من صور هذا الغدر ما جاء في الاصحاح ٣٤ الفقرات: ٢١ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٩: «إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتجرون فيه والأرض واسعة الأطراف أمامهم فتتخذ بناتهم أزواجاً ونعطيهم بناتنا... وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر. وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم... وسبوا وغنموا ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وسائر ما في البيوت».

هذه صورة من صور أخلاق الغدر عند اليهود تضمنتها نصوصهم التي يقدسونها، ومارسها أسلافهم، وهي بلا شك تشكل، بالنسبة لهم في كل عصر، منهجاً تربوياً يرون من خلاله مسوغات للغدر والجريمة والخيانة.

٤ ـ الجاسوسية في السلوك اليهودي:

تعتبر الجاسوسية إحدى مرتكزات ومكونات الشخصية اليهودية، وطابعاً عاماً وملازماً لها. والسبب في ذلك اعتبارات تاريخية نشأت من خلال نظرتهم العدوانية للناس والأمم كافة، وولدت عندهم حالة شك وريبة تجاه الجميع،

---

(١) سفر العدد، الاصحاح ١٤، فقرة ١ ـ ٢.

يضاف إلى ذلك حالة الطمع بما في أيدي الناس، وحتى يكون لهم ذلك يعملون، من خلال التجسس، على الوقوف على حقيقة مواطن القوة عند كل شعب يريدون النيل منه كي يضربوها، ويحاولون التعرف على مواقع الضعف لينفذوا منها. ورد في سفر العدد: «هذه أسماء الرجال الذين بعثهم موسى ليجسوا الأرض وسمى موسى هوشع بن نون يوشع. وأرسلهم موسى ليجسوا أرض كنعان وقال لهم اطلعوا من هناك من الجنوب واصعدوا الجبل... فصعدوا واجتسوا الأرض من برية حين إلى رحوب عند مدخل حماة... ورجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً... وشنعوا، عند بني إسرائيل، على الأرض التي تجسسوها وقالوا: الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل أهلها وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات» [1].

خمس آيات في إصحاح واحد وردت فيها كلمة تجسس ست مرات، وهذا قدر كافٍ من الكلام لإعداد قراء العهد القديم، والذين ينظرون لنصوصه على أنها مقدسة، إعداداً يقوم على روح الجاسوسية، وعلى اعتبار الجاسوسية أحد أبرز وسائل تحقيق الأهداف التي يعملون لتحقيقها.

٥ ـ الجشع عند اليهود:

جشع اليهود وحبهم للمال وسعيهم لجمعه بشتى الوسائل والطرق أمر لا يحتاج إلى شواهد كثيرة، قد أباحوا الربا إذا كان إقراض المال لغير يهودي: «لا تقرض أخاك بربا في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالربا. بل الأجنبي إياه تقرض بالربا، وأخاك لا تقرضه بالربا لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها» [2].

(١) سفر العدد الاصحاح ١٣ الفقرات: ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٢ ـ ٢٦ ـ ٣٢.

(٢) سفر التثنية الإصحاح ٢٣، الفقرة: ١٩ ـ ٢٠.

الدرس الثاني

تاريخ اليهود

التسمية وسببها

إن هناك العديد من الأسماء التي تدل على هذه الفئة، فهناك العبرانيون والإسرائيليون واليهود والصهاينة. فما هي الأسباب التي دعت اليهود إلى تنويع المصطلح والاسم الذي يطلقونه على أنفسهم؟

إن لهذه المصطلحات مدلولاتها السياسية. فالعبرانيون هم الشعوب القديمة التي سكنت أرض العرب على اختلاف لهجاتها ولغاتها، وعلى تعدد معتقداتها وثقافاتها. ولقد اعتاد الناس منذ زمن طويل بتأثير الكتابات التوراتية والأدبيات اليهودية التي كانت تستخدم كلمتي عبرية ويهودية وكأنهما تدلان على معنى واحد، والواقع يخالف ذلك، فالعبرية استخدمت قبل موسى عليه السلام وفي نحو القرن العشرين قبل الميلاد كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرّحل في صحراء الشام... ولم يكن لليهود وجود حينها. ولما وجد اليهود وانتسبوا إلى إسرائيل كانوا أنفسهم يقولون عن العبرية إنها لغة كنعان.

ومجمل القول إن حاخامات اليهود وجدوا أن أحسن طريقة يمكن إتباعها لربط تاريخهم بأقدم العصور، ولجعل عصر اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة هو استعمال

مصطلح عبري للدلالة على اليهود بوجه عام وبذلك يصبح تاريخ فلسطين تاريخاً واحداً متصلاً ومرتبطاً، منذ أقدم العصور بالشعب اليهودي[١].

أما الصهيونية فليست مصطلحاً دينياً، وإنما هي مصطلح سياسي يحمل فكرة يهودية تقوم على حق مزعوم بعودة إلى أرض فلسطين، التي يطلقون عليها اسم «أرض الميعاد» ولكن هذا المشروع السياسي لا يستند إلى معتقد ديني، لأن العودة إلى أرض الميعاد لا تكون وفق نصوص الكتاب المقدس على يد حركة سياسية، وإنما تتحقق بمسيح مخلص مبعوث من الخالق.

وكلمة صهيون كما في قاموس الكتاب المقدس معناها حصن، وهي رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم. ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي، فاحتل داود الحصن وسماه مدينة داود.

واليبوسيون تاريخياً قبيلة عربية وأبناء عم للكنعانيين، ثبت أنهم أقاموا امارتهم في القدس ومنها حصن صهيون بقيادة أميرهم سالم اليبوسي حوالى سنة ٢٥٠٠ق.م، وبذلك تكون القدس موطن اليبوسيين قبل إبراهيم عليه السلام بما يزيد عن ٥٠٠ سنة وبحوالى ١٠٠٠ سنة قبل موسى عليه السلام.

ونصوص الكتاب المقدس تفيد بأن اليبوسيين هم سكان أورشليم «القدس» الأصليون «وسار داود وجميع إسرائيل إلى أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض...»[٢].

إن بني إسرائيل من الناحية القومية مرحلة متقدمة عن المرحلة الموسوية،

واليهودية كديانة هم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أنه ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام، ما كان يسمى كتاباً، بل صحفاً[٣]، وهم دُعوا يهوداً من يهوذا أحد الأسباط الأثني عشر: يهوذا ـ

---

(١) راجع الموسوعة الفلسطينية، ج١، ص١٨٦.

(٢) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٤ ـ ١١.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢١٠.

بنيامين ـ رآوبين ـ شمعون ـ زبلون ـ يساكر ـ نفتالي ـ لاوي ـ آشير ـ يوسف ـ جاد ـ دان.

وتغلب هذا الاسم واشتهروا به لأن سبط يهوذا كان مزمعاً أن يكون له السؤدد والمجد في إسرائيل، لأنه عندما دنا يعقوب من الموت خاطب ابنه بهذه الكلمات[1]:

«يهوذا إياك يحمد اخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك... لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب»[2].


نبوخذ نصر

ويهوذا أطلقت في الأصل على مملكة الجنوب التي كان فيها يهوذا وبنيامين. غير أن كلمة يهودي توسع استخدامها من أبناء مملكة يهوذا الذين عادوا بعد سبيهم (٦٠٥ق.م) على يد نبوخذ نصر لتطلق على جميع اليهود أينما كانوا وحيثما حلوا أو وجد أحد منهم. فاليهودية بعد رسالة موسى عليه السلام باتت عقيدة وشريعة، وهي ليست نسباً كإسرائيل. ولا هي صفة لهيئة معاش كالعبرية، ولا هي عنوان مشروع سياسي كالصهيونية.

المراحل التاريخية

نسرد في ما يلي المسيرة التاريخية لبني إسرائيل، ونستعرضها هنا ضمن مراحلها:

المرحلة الأولى: يعقوب عليه السلام

وهي عبارة عن سكن يعقوب عليه السلام وأبنائه في أرض فلسطين وما مر عليهم من سنيّ القحط بعد فعلة أخوة يوسف وإلقائه في الجب وبيعه ووصوله إلى مصر، عندها لجأ كل الناس إلى خزائن الملك. وعاد واجتمع شملهم بيوسف، وكانت هي

(١) اليهود في التاريخ إلى عهد المسيح: القس بولس عبود، ص٥.

(٢) سفر التكوين، الاصحاح ٤٩، فقرة ٨ و١٠.

المرحلة الثانية لانطلاق بني إسرائيل من خلال مصر وهناك تكاثروا وأصبح لهم تواجد كبير، وأصبحوا يشكلون خطراً على الأسرة الحاكمة آنذاك وهم الأقباط والفراعنة، وبدأ الصراع بينهم وبين الأقباط.

المرحلة الثانية: موسى عليه السلام

في عصر موسى عليه السلام بلغ ظلم الأقباط لبني إسرائيل أوجه، فبدؤوا التنكيل بهم والقتل والتشريد والاستعباد. وكان بنو إسرائيل يتناقلون في ما بينهم بأن نبياً منهم سيولد وينقذهم من ظلم الفراعنة... وولد موسى عليه السلام وكان خروجهم من مصر على يده.

ولهذا يذكر بعض المؤرخين أن تاريخ اليهود يبدأ فعلياً بعد خروجهم من مصر مع النبي موسى عليه السلام ، ولكنهم لم يوافقوه على أوامره ونواهيه، وما فيه هداهم، حيث خاصموه وأخاه هارون وطلبوا العودة إلى أرض مصر والتحول إلى عبادة الأوثان بدلاً من عبادة الله، ونتيجة لذلك تاهوا في الصحراء مدة أربعين سنة، ونزلت بهم الأمراض والضربات حتى مات الجيل الذي خرج من مصر كله إلا رجلين، وأعلنوا التوبة إلى الله بعد ذلك، وبينما هم في طريقهم إلى أرض فلسطين مات موسى عليه السلام وتولى أمرهم وصيه يوشع بن نون الذي دخل بهم إلى الأرض المقدسة.

المرحلة الثالثة: يوشع بن نون

يعتبر دخول يشوع (يوشع) بلاد فلسطين بداية عهد اليهود بهذه الأرض وارتباطهم بها نظرياً، فإنهم في زمن إبراهيم عليه السلام لم يكونوا أمة بعد، بل كان إبراهيم نفسه يعيش حالة التنقل والتغرب في تلك البلاد، وكذلك الحال في إسحاق ويعقوب.

ولم تستطع التوراة أن تقدم لنا صورة واضحة وصريحة حول دخولهم أرض فلسطين، فبينما يصوره سفر يشوع على أنه دخول عسكري وقهر للأمم التي كانت

ساكنة في تلك الأرض واستعباد لها، وتنتهي الحرب بتملك الإسرائيليين الأرض يقول: «فأخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب»[1].

ولكن سفر القضاة مغاير لما ورد في سفر يشوع عن قضية الدخول هذه. فلا دخل الأرض بالحرب، ولا هم كانوا يسلكون طريق الاستقامة، فكان جزاؤهم العذاب والتشريد مرة أخرى إلى ما بعد موت يشوع. بل إن سكان الأرض هم الذين نهبوهم وشردوهم، لأنهم تعدوا حدود الله ونقضوا عهوده ولم يسمعوا لصوته، فحمي غضبه عليهم حتى ضاق بهم الأمر. ولم يكونوا يرتدعون بقول نبي أتاهم، فبدأ يتسلط عليهم الملوك الظالمون يذلونهم. وظهر عليهم العمالقة وعلى رأسهم ملكهم جالوت وهو من القبط فتسلطوا عليهم وفرضوا عليهم جزية.

المرحلة الرابعة: داود وسليمان:

لم يجمع اليهود كيان واحد بعد موت يشوع بل كان يتولى أمورهم قضاة يفصلون بينهم في المنازعات والمخاصمات.

وكثيراً ما كان اليهود يرتدّون إلى عبادة الأصنام، والتجرؤ على حرمات التوراة، فكان ذلك سبباً في تسلط الآخرين عليهم كما ذكرت التوراة.

وهذا ما يدل على أنهم كانوا لا يزالون يعيشون حياة قبلية من دون تأسيس دولة خاصة بهم، وأنهم كانوا يسكنون في فلسطين في ظل الأمم الأخرى وبرعايتها وتحت سلطانها، فإن تمردوا عليها أو خانوا عهودها انتفضت في وجههم وأذلتهم من جديد حتى عصر تأسيس المملكة على يد داود عليه السلام ومن بعده سليمان عليه السلام فكان عمر المملكة كلها عبارة عن ثمانين سنة وهي فترة حكم داود وسليمان والتي قسمت إلى دويلتين إحداهما في الجنوب وعاصمتها أورشليم وهي مملكة يهوذا والثانية في الشمال وعاصمتها السامرة.

---

(١) سفر يشوع ١١ ـ ٢٣.

وقد تعرضتا لحروب داخلية في ما بينهما طيلة فترة وجودهما، كما تعرضتا لغزو خارجي من قبل المصريين تارة، والآراميين في دمشق تارة أخرى، والآشوريين وغيرهم ثالثة، حتى انتهى وجودهم من التاريخ وتم سبيهم إلى بابل في نهاية الأمر على يد الأشوريين. وبعدها احتل ملك الفرس قورش فلسطين وعندها بدأت رحلة العودة لليهود إلى فلسطين، غير أن قسماً كبيراً منهم آثروا البقاء في بابل وبعضهم بقي في مصر. وأما من عاد إلى فلسطين ظل تحت هيمنة الفرس وحكمهم، ولم يكن لهم أي دور في إدارة البلاد، واستمر حكم الفرس إلى عام ٣٢٠ قبل الميلاد حيث غزا الاسكندر البلاد بما فيها فلسطين واحتلها وتوالت الغزوات إلى أن جاء الرومان بقيادة هيرودس وغزا فلسطين وملك على بني إسرائيل وبنى لليهود الهيكل، ولكن سنة ٧٠ ميلادية دمر تيطس ملك الرومان أورشليم رداً على ثورة اليهود عليه ودمر الهيكل، وبعد ذلك بدأت المسيحية تنتشر في هذه البلاد. وفي سنة ٦٣٦ في عهد الخليفة الثاني حرر المسلمون فلسطين وأرجعوها إلى أحضان العرب، ثم استولى الصليبيون عليها وردها المسلمون، وفي عهد الانتداب رجع اليهود إلى فلسطين وشردوا أهلها وقتلوا أبناءها، وارتكبوا أبشع الجرائم على مر التاريخ.

ولم ينعم اليهود ببعض الحرية إلا في ظل الدولة الإسلامية، غير أنهم لم يحفظوا هذا الجميل للمسلمين الذين سمحوا لهم بالعيش في بلادهم هرباً من اضطهاد الأوروبيين لهم، فكان الرد ما هو الآن قائم في احتلال فلسطين وتشريد أهلها وتقتيلهم، وصار لهم دولة قوية مؤيدة من قبل الدول الكبرى في العالم، حيث تقاطعت المصالح الاستعمارية في ما بينها على غرز هذا الخنجر في قلب العالم الإسلامي ليبقى ينزف إلى أن يأتي الوعد الإلهي بالنصر.

الدرس الثالث

مصادر اليهودية

يعتمد اليهود في عقيدتهم وشريعتهم وأفكارهم، حتى في قراءة تاريخ اليهودية، مصدرين أساسيين هما:

١ ـ العهد القديم.

٢ ـ التلمود.

العهد القديم:

وقد كتب باللغة العبرية وقليل منه باللغة الكلدانية، وهما ـ كاللغة العربية ـ من اللغات السامية.

يتكون العهد القديم من ٣٩ سفراً ضمن ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١ ـ القسم التاريخي.

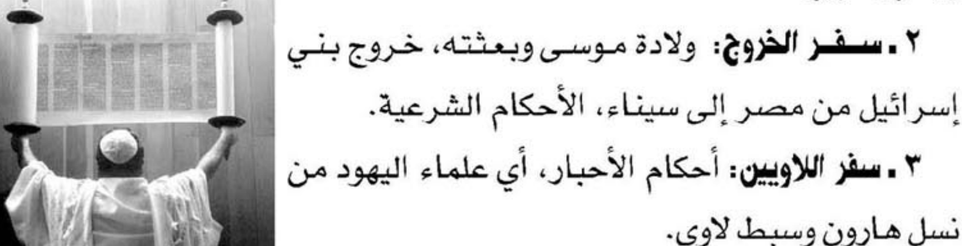
٢ ـ الحكمة، الأناشيد والشعر.

٣ ـ تنبؤات الأنبياء.

القسم التاريخي

وهذا القسم يضم ١٧ سفراً:

١ ـ **سفر التكوين:** خلق العالم، أخبار آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف.


التوراة

٢ ـ **سفر الخروج:** ولادة موسى وبعثته، خروج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء، الأحكام الشرعية.

٣ ـ **سفر اللاويين:** أحكام الأحبار، أي علماء اليهود من نسل هارون وسبط لاوي.

٤ ـ **سفر الأعداد:** إحصاء نفوس بني إسرائيل في عهد موسى، الشريعة، وتاريخ بني إسرائيل.

٥ ـ **سفر التثنية:** تكرار الأحكام في الأسفار السابقة وتاريخ بني إسرائيل إلى رحيل موسى عليه السلام.

ويطلق على مجموع هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة، وأصل الكلمة عبري ومعناها القانون، إذ احتوت على أحكام وقوانين كثيرة. وهي بمفهومهم منزّلة على موسى عليه السلام من ربه.

٦ ـ **سفر يوشع:** سيرة يوشع بن نون خليفة موسى.

٧ ـ **سفر القضاة:** تاريخ قضاة بني إسرائيل قبل مجيء الملوك.

٨ ـ **سفر راعوث:** سيرة امرأة تدعى راعوث هي إحدى جدات داوود.

٩ ـ **سفر صموئيل الأول:** تاريخ النبي صموئيل، ونصب شاؤول (طالوت) ملكاً.

١٠ ـ **سفر صموئيل الثاني:** حكم داوود.

١١ ـ **سفر الملوك الأول:** استمرار حكم داوود، وحكم سليمان وخلفائه.

١٢ ـ **سفر الملوك الثاني:** أخبار ملوك بني إسرائيل حتى حملة نبوخذنصّر وجلاء بابل.

١٣ ـ **سفر أخبار الأيام الأول:** وفيه الحديث عن نسب بني إسرائيل وتاريخهم حتى وفاة داوود.

١٤ ـ **سفر أخبار الأيام الثاني:** وفيه أخبار سليمان وما بعده من الملوك حتى جلاء بابل.

١٥ـ سفر عزرا: إعادة بناء أورشيلم (بيت المقدس) وعودة بني إسرائيل إليها مع عُزير.

١٦ ـ سفر نَحَميا: إعادة بناء أورشليم على لسان نحميا ساقي الملك أردشير، أول ملوك السلالة الهخامنشية.

١٧ ـ سفر استير: وفيه الحديث عن خطة وضعتها استير زوجة الملك خشايارشا اليهودية لإحباط مؤامرة دُبّرت لإبادة اليهود.

الحكمة والأناشيد والشعر

يشتمل هذا القسم على خمسة أسفار، هي:

١ ـ سفر أيوب: تعرّض إلى ابتلاء أيوب وصبره وسخطه.

٢ ـ سفر المزامير: ويعني زبور داوود، وهو مجموعة تتألف من ١٥٠ مزموراً.

٣ ـ سفر أمثال النبي سليمان: وهو مجموعة نصائح.

٤ ـ سفر الجامعة: وهو من الشعر، فيه تشاؤم وتشكيك حول الدنيا.

٥ ـ سفر نشيد الأناشيد: وهو مجموعة أشعار غزلية.

تنبؤات الأنبياء

ويشتمل هذا القسم على تحذيرات وتهديدات تحوم حول عاقبة بني إسرائيل، ولا بد للقارئ من أن يحيط علماً بتاريخ تلك العصور لكي يقف على مغزى تنبؤات الأنبياء، ويضم هذا القسم ١٧ سفراً، هي: إشعيا، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونس (قصة مكثه في بطن الحوت)، ميخا، نحوم، حَبَقّوق، صفنيا، حجّاي، زكريا، ملاخي.

هل التوراة صحيحة؟

نؤمن نحن المسلمين، أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام كتاباً سماوياً لهداية

بني إسرائيل هو التوراة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [1].

ولقد ذكر القرآن في أكثر من موضع أن بني إسرائيل حرفوا التوراة: قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [2]، وفي المواضع التالية: [3].

ومما يدل على عدم موثوقية التوراة:

١ ـ اختلاف لغة التوراة عن لغة موسى عليه السلام فمن الراجح أن اللغة العبرية نشأت بعد دخول اليهود فلسطين واختلاطهم بالكنعانيين أي بعد وفاة موسى. فموسى ولد في مصر ونشأ فيها وتكلم بلغة أهلها، وبما أن اليهود مكثوا فيها (٤٣٠) عاماً كما في سفر الخروج (٤٠: ١٢) فمن المنطقي القول إنهم تكلموا لغة أهل البلاد أيضاً. وربما احتفظوا بلغتهم التي كانوا يتكلمونها قبل رحيلهم إلى مصر إلى جانب اللغة المصرية، وتلك اللغة لم تكن العبرية، والمفروض أن التوراة نزلت باللغة التي كان يتكلمها موسى وقومه وهي المصرية القديمة أو لغة أخرى سوى العبرية، وبما أن التوراة الحالية مكتوبة بالعبرية فهي على أحسن تقدير ترجمة لتوراة موسى الأصلية والترجمة لا تعدل الأصل بحال.

٢ ـ عدم ثبوت نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام لأسباب عديدة منها الشواهد الداخلية على ذلك ويكفي على سبيل المثال أن نقرأ سفر التثنية (١١ ـ ٥ : ٣٤) الذي يتحدث عن موت موسى وأنه كيف مات وماذا فعل بنو إسرائيل من بعده. ويقول الكاتب: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) النساء: من الآية٤٦.

(٣) البقرة: ٧٥ و٧٩.

الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» ما يدل على أن الكاتب غيره على الأقل. وورد في سفر التكوين (٣١: ٣٦): «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أروم قبلما ملَكَ مِلكُ بني إسرائيل». إن كاتب هذه العبارة لا بد أن يكون عاش في عصر الملوك والمعروف أن اليهود لم يعرفوا الملكية إلا في عهد شاوول (طالوت) أي بعد عصر موسى بقرنين.

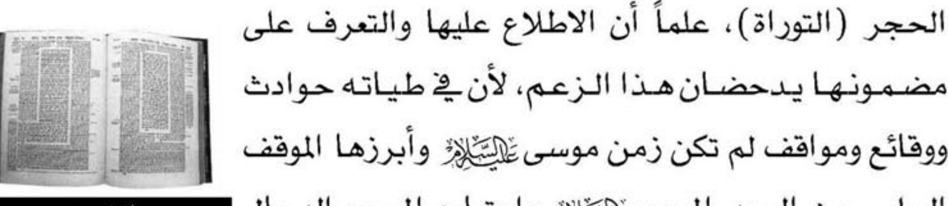
ومعظم العلماء والمحققين يرون أن التوراة الحالية قد سجلتها أحبار اليهود خلال فترة السبي البابلي ما بين القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد أي بعد سبعة قرون من عصر موسى. وهذه ... تمت اعتماداً على الذاكرة وعلى بعض الوثائق التي ظلت على قيد الحياة، وبما أن التوراة كتبت في جو مشحون بالشعور بالمرارة والكراهية والحقد. فقد جاءت حافلة بالنصوص التي تمجد بني إسرائيل وتحقر سائر الشعوب الأخرى وتدعو إلى إباحتها.

٣ ـ عدم ثبوت تواتر التوراة الحالية: يخبرنا سفر التثنية (١١ ـ ٩: ٣) أن موسى كتب التوراة وسلمها للكهنة من بني لاوي وأمرهم أن يقرؤوها على جموع اليهود كل سبع سنين في عيد المظال. ولنا أن نرجح أن اليهود قد حافظوا على التوراة خلال عهد القضاة وطالوت وداود وسليمان لأنهم كانوا متمسكين نسبياً بديانتهم تحت قيادة الأنبياء والصالحين. وبعد وفاة سليمان في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد انقسمت دولة اليهود إلى جنوبية وشمالية. ويخبرنا العهد القديم أن هاتين الدولتين شاع فيهما الفساد الديني والاجتماعي وانتشرت فيهما الوثنية وعبد معظم حكامها الأوثان واضطهدوا الموحدين، ومن السهل جداً أن تتعرض التوراة أو جزء منها للضياع والتحريف في غياب التقوى وفي غياب السلطة التي تحميها وتحافظ عليها. وهذا ما حدث بالفعل فسفر الملوك الثاني (١٣ ـ ٨: ٢٢) يخبرنا أن سفر الشريعة أي سفر التثنية وهو أهم أسفار التوراة كان مفقوداً في القرن السابع قبل الميلاد وأن الكاهن «حلقيا» قد عثر عليه في الهيكل أثناء صيانته عام

(٦٢٢ق.م) في عهد الملك يوشيا بن آمون. وعلى آثر هذا الاكتشاف قام بحركة اصلاح دينية واسعة وطهر الهيكل والبلاد من مظاهر الوثنية. وليس بوسعنا أن نجزم أن سفر التثنية الذي عثر عليه الكاهن مطابق للأصل لأنه من المحتمل أن يكون أعاد كتابته وادعى أنه الأصل الضائع. وإذا أضفنا إلى ذلك ما تعرض له اليهود من هزيمة وقتل وسبي على يد الآشوريين عام (٧٢٠ق.م) والبابليين (٥٨٦ق.م) ودمار الهيكل الذي كان يحتوي على الكتب المقدسة ترجح لدينا ضياع التوراة أو أجزاء منها في غمرة الفوضى والمذابح والرحيل. ونحن اليوم لا نملك أي نسخة من التوراة تعود إلى عصر موسى أو داود وسليمان ولا عصر المنفى ولا نملك تلك النسخة التي قرأها عزرا في بداية القرن الرابع قبل الميلاد على اليهود. وأقدم نسخة حية للتوراة اليوم هي المكتشفة في كهوف قمران قرب البحر الميت ابتداء من العام ١٩٤٧م والتي يرجع تاريخ تدوينها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد على أحسن تقدير أي أن بين تاريخ كتابتها وكتابة النسخة الأصلية في عهد موسى (ع) فجوة زمنية مقدرة بألف سنة. وهذه الفجوة كافية للتغيير والتحريف[١].

التلمود

التلمود كلمة عبرية أصلها لامود ومعناها التعاليم، وهو ـ حسب زعمهم ـ شريعة شفوية أعطيت لموسى عليه السلام على طور سيناء إلى جانب القانون المكتوب على ألواح الحجر (التوراة)، علماً أن الاطلاع عليها والتعرف على مضمونها يدحضان هذا الزعم، لأن في طياته حوادث ووقائع ومواقف لم تكن زمن موسى عليه السلام وأبرزها الموقف السلبي من السيد المسيح عليه السلام واعتباره المسيح الدجال


التلمود

وهو غير المسيح المخلص المنتظر عندهم، ويشتمل التلمود القديم على الطعن في

(١) راجع دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة لمحمد السعدي.

المسيحية والمسيح عليه السلام، ومما يذكره عن المسيح أنه كان يهودياً مرتداً كافراً، وتعاليمه كفر صريح، وأن أمه حملت به سفاحاً من جندي يدعى بندارا.

وقد حمل الملوك والبابوات المسيحيون حملات شديدة ضد التلمود باعتباره مصدر الشر الكامن لليهود. لذلك صدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود في فرنسا في عهد لويس سنة ١٢٦٦م كما حدث في انكلترا سنة ١٢٩٠م حين أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد... وفي سنة ١٥٦٥ أصدر البابا بيوس الرابع أمراً: أنه يجب حرمان التلمود حتى من اسمه.

وقد تنبه أحبار اليهود الذين اجتمعوا عام ١٦٣١م في بولونيا لخطورة الموقف فقاموا بحذف الكلمات التي تنال من المسيح والمسيحية، وتركوا مكانها فراغاً، واتفقوا على تلقينها مشافهة لتلاميذ مدارسهم الدينية.

محتوى التلمود

التلمود قسمان: المشناة وترجح المراجع أنها كانت بالعبرية، والجمارا التي هي تفسير لها كانت بالآرامية.

المشناة: تنقسم إلى ستة أقسام وتدعى هذه الأقسام «سيداريم» أي أنظمة. والأقسام هي:

١ ـ **زراعيم:** خاص بالبذور ويتضمن نظام الزراعة والأرض والحبوب والأمور المتعلقة بها.

٢ ـ **موعيد:** خاص بالأعياد ويتضمن الأمور الدينية المتعلقة بالأعياد والسبت والأيام المقدسة والأمور المتعلقة بها من طقوس واحتفالات في كل موسم.

٣ ـ **ناشيم:** خاص بالنساء ويبحث عن الأمور التي تتعلق بالنساء ويتضمن شؤون الزواج والطلاق والخيانة وغيرها.

٤ ـ **نزيقين:** خاص بالأضرار والتعويض عنها ويتحدث عن قانون العقوبات

والقوانين المدنية والجنائية والمحظورات والقصاص وغيرها، وفي الباب الرابع منه جاء الحديث عن مجمع السبعين اليهودي المسمى السنهدرين، الذي هو عبارة عن المحكمة العليا عند اليهود وفيه نظام هذه المحكمة وسلطاتها وكيفية ممارسة صلاحيتها.

٥ ـ **قداشيم:** خاص بالمقدسات ويحتوي على أحكام القوانين وما يقدم إلى الهيكل ومراسم التقديم وشروطها.

٦ ـ **طهاروت:** خاص بالطهارات، ويبحث حول أحكام الطهارات والملابس والأوعية والأثاث ومعرفة الطاهر والنجس وكيفية التطهير بالإضافة إلى بيان الحلال والحرام من الأطعمة والأشربة.


الحلقة التلمودية

وهذه الأقسام الستة مقسمة إلى كتب وكراسات.

الجمارا: وهو سجل واسع لمناقشات الأحبار التي تناولت شرح المشناة أو تدور حولها، وهناك مجموعتان متوازيتان من الجمارا، وقد كتبت إحدى المجموعتين في فلسطين حوالي سنة ٤٠٠م، والأخرى في بابل حوالي سنة ٥٠٠م.

وقد كتب تلمود فلسطين على عجل وفي ظروف غير مناسبة بسبب اضطهاد الرومان، وأما تلمود بابل فقد استغرقت كتابته حوالي قرن من الزمن، ولهذا أوليَ تلمود بابل أهمية أعلى واعتمده اليهود أكثر من تلمود فلسطين.

الدرس الرابع

فرق اليهود

يتوزع اتباع اليهودية منذ زمن بعيد في فرق تختلف نظرتها إلى العهد القديم. ومنها ما يختلف حول قبول «الشريعة الشفوية» التي يتم تدوينها في «التلمود» ومن موضوعات الخلاف عندهم كذلك موضوع القيامة واليوم الآخر.

والفرق اليهودية ليست على مستوى واحد من حيث الانتشار والاتباع، فمن هذه الفرق من بقي اتباعها بالمئات، ومنها من اتباعها بالملايين، ومنها من انقرضت ودخلت في ديانات سماوية أخرى أو ذاب أتباعها في فرق يهودية أخرى. وقد ظهرت الفرق اليهودية المعروفة بعد الرجوع من بابل، وأما الفرق الأكثر قدماً فلا تتوفر معلومات كافية عنها. والفرق اليهودية التي ظهرت على المسرح هي:

١ ـ الفريسيون:


الفريسيون

أصلها «فروشيم» أي المنفصلون، وقد تكرر اسمهم في الأناجيل الأربعة محاولين الوشاية بعيسى عليه السلام لقتله، ظهرت هذه الفرقة قبل نحو قرنين من ميلاد المسيح، وهم يشكّلون الآن غالبية اليهود، ويرجع أصل هذه الفرقة إلى فرقة حسيديم (أي الزاهدين)

التي ظهرت في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد. ويمكن أن نجمل عقيدة هذه الفرقة بما يلي: نزهت الله عن الجسم والصفات الجسمانية، واختارت حلاً وسطاً في الإرادة الإنسانية، واعتقدت بالبعث والعدل الإلهي، وأولت أهمية للصلاة وسائر العبادات، وآمنت بالتوراة الشفوية التي جمعت في التلمود[1].

٢ . الصدوقيون:

كان الصدوقيون طبقة ارستقراطية عريضة الثراء عظيمة النفوذ السياسي والديني، وتمتاز بأنها مالت إلى الاعتقاد بجسمانية الله، كما وأنكرت الحياة الآخرة والحساب والجنة والنار. وأنكرت وجود الملائكة والشياطين، ورفضت غير التوراة المكتوبة. وتتحدث نصوص الأناجيل عما تعرض له السيد المسيح عليه السلام من مكائد وغدر الصدوقيين. ولم يبقَ لهذه الفرقة أثر بعد تدمير أورشليم عام ٧٠م.

٣ . السامريون:

فرقة يهودية قليلة الاتباع لكنها لم تزل حية حتى يومنا هذا. تقوم عقيدتهم على الإقرار بوحدانية الله، ونبوءة موسى عليه السلام ، والإيمان بيوم الدينونة، ويتميزون عن باقي الفرق بأنهم لا يعترفون بغير الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم. وهذه الأسفار هي المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، والتي تعرف مجتمعة باسم «التوراة».


السامريون

يعتقد السامريون أنهم الصفوة المتبقية من بني إسرائيل، وأنهم حماة التوراة، والعاملون بما جاءت به، وأنهم المختارون من اللّه، وأنهم البقية من أولاد يعقوب عليه السلام . وهم يفترقون عن سائر اليهود في قضية أساسية هي موقع الهيكل واتجاه القبلة. ويقولون إن اللّه تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس،

---

(١) دروس في تاريخ الأديان، تأليف حسين توفيقي، نشر المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

وهو الطور الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام فتحول داود إلى إيلياء وبنى البيت فيها، وخالف الأمر فظلم، والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود، ولغتهم غير لغة اليهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية.

٤ ـ القرّاؤون:

هذه التسمية مشتقة من المصدر العبري «قُرُأ» ومعناه قرأ أو دعا.وهؤلاء لم يؤمنوا بغير «المُقرا»، ولذلك رفضت هذه الفرقة كل أدبيات اليهود وكتبهم بما فيها التلمود، وأخذت موقفاً سلبياً ومعارضاً للأحبار واتهموهم بأنهم الذين ألّفوا التلمود بقسميه.

وقد أسست هذه الفرقة بعد بزوغ الإسلام، أسسها عالم يهودي في عصر المنصور الدوانيقي، وصاحَبَ أبا حنيفة، وكان أكثر القرّائين في القرون الماضية يقيمون في ربوع العالم الإسلامي، وأما اليوم فيقطن أغلبهم بالإضافة إلى فلسطين في روسيا وأوكرانيا ودول أخرى.

٥ ـ الإسينيون:

هذه الفرقة ظهرت بين يهود فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، وانقرضت بعد تدمير اورشليم (شأنها في ذلك شأن الصدوقيين) ومن الأسماء التي تطلق على أتباعها غير «الإسينيين» تسمية الأطهار.

ومن أهم ما تتميز به هذه الفرقة أنها تحرّم الملكية الفردية والزواج والاغتسال عدة مرات في اليوم، وإقامتهم كانت غالباً في مناطق نائية في المغاور والكهوف، ومعاشهم كان من الرعي والزراعة، وكانوا يمارسون كل صباح عادة الاغتسال بمياه الينابيع، ومع مجيء المسيح عليه السلام آمن الإسينيون به وبدعوته، لكنهم بعده رفضوا أن يعترفوا بدعوة بولس للمسيحية، وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية، وبعد تدمير الهيكل عرفوا باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

جذور اليهود المعاصرين:

تشير الدراسات التاريخية إلى أن قلة من اليهود هم من سكان الأرض العربية تاريخياً وأما الأغلبية الباقية فهي إما أنها من يهود الخزر، أو يهود الاشكناز من التشكيل الحضاري الجرماني، أو سفارد ينتمون إلى التشكيل الحضاري اللاتيني.

إن تعبير «أشكناز» عرف به يهود ألمانيا في القرون الوسطى خاصة في منطقة ماينز وفورمز على ضفاف نهر الراين. وتعبير «سفارد» ويقابله أحياناً تعبير «يهود شرقيون» فيشمل يهود أسبانيا في القرون الوسطى مع بعض يهود حوض البحر المتوسط.

ولكن ما يجب أن نعلمه هو أن يهود اليوم بنسبة ٩٢ بالمائة هم من سلالة الخزر. يقول بنيامين فريدمان في هذا الأمر: إن من يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من ٩٢ بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم. والخزر الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم[١].

ومحط الاهتمام ربما ينبع من أن تهود الخزر، كأكبر كتلة بشرية دخلت اليهودية في تاريخها كله وحتى يومنا هذا، هو عامل من عوامل هذا الاهتمام، عطفاً على أنها شكلت موقع جذب لليهود يومها كما يقول المسعودي: فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه، وكان تهود ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم[٢].

(١) يهود اليوم ليسوا يهوداً: اعداد زهدي الفاتح، ص٤٤.

(٢) مروج الذهب، ج١، ص١٧٨.

ويقول آرثر كيستلر: على الأرجح في سنة ٧٤٠م اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية، وأصبحت اليهودية الدين الرسمي لدولة الخزر[١].

هذه الكتل البشرية المتهودة ليست سامية وفق أسطورتهم الواردة في سفر التكوين عن أولاد نوح، ولا هم من أصحاب الحق التاريخي المزعوم. إن معظم يهود اليوم في الولايات المتحدة الأميركية وفي عموم أوروبا الشرقية هم من أصل خزري. وبعد سقوط مملكة الخزر مع اطلالة القرن الحادي عشر الميلادي، توزع يهودها في أوروبا الشرقية، ومن هناك كانت هجرات اليهود إلى أميركا بعد اكتشافها في العصور الوسطى.

إن يهود اليوم في غالبيتهم المطلقة، هم من أصل خزري ومن أصل ألماني (اشكناز) وحتى السفارديين فيهم من كانوا غير عرب ولا ساميين بحكم إقامتهم في إسبانيا. وبهذا يسقط الادعاء اليهودي بسامية لا سند لها[٢].

الفرق اليهودية المعاصرة

بعد هجرة اليهود إلى أوروبا وسكناهم فيها تعرضوا للاضطهاد من قبل المسيحيين بحجة أنهم هم الذين قتلوا السيد المسيح وأنهم لم يؤمنوا بالمسيحية وذلك جزاءً لهم في الدنيا قبل الآخرة. وعلى أساس هذه النظرة المسيحية نشأ نظام الجيتو (المخيمات) بالنسبة لليهود، حيث كان عليهم أن يعيشوا في أماكن خاصة بهم، ولا يحق لهم العيش في مناطق المسيحيين.

لقد كان على الفرد اليهودي الخضوع لمقررات سلطة ذلك الجيتو المتمثلة بالحاخام أو مجلس الربابنة (علماء اليهود) المسمى ببيت الدين، ولم يكن بإمكان الفرد اليهودي الخروج عن هذا النظام وإلا فإنه سوف يعتبر من قِبل الدولة رجل

(١) القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ص٢٣.

(٢) من اليهودية إلى الصهيونية: د. أسعد سحمراني، ص٤٠.

حرب وأول ما يتعرض له هو مصادرة جميع أملاكه وصيرورته بعد ذلك عرضة للقتل. وهذا ما جعل اليهود يعيشون حالة العزلة والانفصال عن المجتمعات من حولهم، والالتزام بمقررات الحاخامات المبتني على أساس التلمود والعهد القديم.

عصر التحرير

بدأ عصر التحرير لليهود من الجيتو في زمان الثورة الفرنسية في القرن السابع عشر والثامن عشر حيث اعتبر اليهود على أساس وثيقة حقوق الإنسان والمواطن مواطنين فرنسيين لهم كل حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته، وبعد ذلك استمرت إجراءات التحرير في بقية دول أوروبا حتى سنة ١٨٧٠، حيث حرر جميع اليهود.

مشاكل عصر التحرير

الحالة الاجتماعية الجديدة لليهود فرضت عليهم العديد من التحديات والمشاكل الجديدة التي ينبغي مواجهتها، ومن هذه المشاكل:

المشكلة الأولى: إن تحرير اليهود إنما كان نتيجة للاتجاه العلماني في الغرب وإقصاء الدين من الحياة، مع أن الفكر اليهودي لا يرى السياسة أو الاجتماع أو غيرها من مجالات الحياة منفصلة عن الدين.

المشكلة الثانية: إن الفرد اليهودي قبل التحرير كان يعيش ضمن نظام الجيتو كعضو منتسب، وأما بعد التحرير فكان عليه أن يعيش كعضو في الأمة القومية والبلد الذي يعيش فيه، وهذا بالتالي سوف يؤدي إلى انصهاره في ذلك الشعب وبالتالي تخليه عن الكثير من الأفكار اليهودية كاعتباره إنساناً أفضل من بقية الشعوب من حيث العرق، أو خضوعه لسلطة الدولة، مع أن الفكر اليهودي يرفض الخضوع لغير الأوامر الربانية أو التلمود... ومن هنا طرح هذا السؤال «كيف يمكن لليهودي أن يحافظ على مكاسب التحرير مع الحفاظ على وحدة الأمة اليهودية»

أي عدم تفتتها وانصهارها في المجتمعات الجديدة.

المشكلة الثالثة: إن اختلاط اليهود بالمسيحيين جعلهم يواجهون مشكلة أخرى وهي مسألة كيفية العيش مع النصارى من حيث المأكل والمشرب والطهارة والزواج وغيرها من الأمور التي كانت تشكل مشكلة للفرد اليهودي، ومن هنا طُرح سؤال جديد، وهو «هل يقبل الدين اليهودي للتطور وهل يمكن إلغاء تلك التشريعات أو تعديلها».

المشكلة الرابعة: مشكلة الكتاب المقدس، حيث تعرض الفكر الديني اليهودي والمسيحي في القرن التاسع عشر للنقد العلمي على أثر الاكتشافات التاريخية والآثار، بالإضافة إلى انتشار الفكر العقلاني، فأصبح الكتاب المقدس مشكلة، فما معنى أن يكون العهد القديم كتاب وحي مليئاً بالأخطاء الحسابية والجغرافية والعلمية...

وعلى اثر تلك المشاكل برزت الفرق اليهودية الجديدة حيث تبنت كل فرقة إجابة على تلك الأسئلة ومحاولة حل لتلك المشاكل.

الملة الإصلاحية

في سنة ١٨٨٠م عقد مؤتمر الإصلاحيين في مدينة بيشبرغ، عرض فيه مبادئ الملة ليتبناها المؤتمر كدستور نهائي لحركة الإصلاح، حوت ثمانية مبادئ:

١ ـ إن الكتاب المقدس لهو أعظم وثيقة خلقها الإنسان.

٢ ـ الكتاب المقدس وثيقة يسجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه لتحقيق رسالته ككاهن للإله الواحد، إنه أقوى معبّر عن المعاني الدينية والأخلاقية.

٣ ـ لا صلاحية ضرورية لأي شي في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي والشعائر التي تقدس الحياة، وأما التشريعات المخالفة للعصر فهي مرفوضة.

٤ ـ لا يقام أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب أو في ملبس وطهارة الكهنة.

٥ ـ تأوّل نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الإنساني العالمي لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعاً.

٦ ـ الدين اليهودي دين يسعى لموافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل.

٧ ـ مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت.

٨ ـ عملاً بروح التشريع الموسوي (لا بحرفه) يعتبر المؤتمر المساهمة في الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة أمراً لازماً على جميع الإصلاحيين.

الملة الأرثوذكسية

في مقابل الملة الإصلاحية هناك الملة الأرثوذكسية التي تتلخص مبادئها بما يلي:

١ ـ الدين اليهودي ليس عقيدة كما هو الحال في المسيحية، والخلاص أو الفلاح ليس بالإيمان بل بالعمل، فالدين اليهودي نظام حياة قبل أن يكون عقيدة.

٢ ـ مصدر التوراة هو الله فهو صانعها ومؤلفها وكاتبها حرفاً بحرف... وكذلك الشفهية التي دونت في ما بعد في التلمود.

٣ ـ التوراة أزلية تطبق على مدى العصور وفي جميع الأمكنة بدون أي تغيير أو تبديل.

٤ ـ على اليهودي أن لا يستنتج من المبدأ السابق أنه لا يمكن التعايش مع غير اليهود أو مع العصر الحديث، بل التوراة تأمر به بشرط أن ينصاع كل شيء إلى مبادئها وقوانينها.

الملة المحافظة

المحافظون قبلوا التغيير ولكن ليس على نطاق واسع بحيث يؤدي إلى إلغاء

التوراة والتلمود من الحياة، فهم خالفوا الإصلاحيين من ناحية إلغاء الإصلاحيين للتوراة، وخالفوا الأرثوذكس من ناحية أنهم وافقوا وقبلوا بتغيير بعض الأمور.

إن المدار في قبول شيء عندهم هو إجماع الملة اليهودية، وهذا الإجماع كافٍ في إعطاء ذلك الشيء قداسة وشأناً ومنزلة وإن كان ذلك الشيء ليس سماوياً.

ومن مبادئ الملة المحافظة:

١ ـ لا بد من إقامة الصلوات والوعظ باللغة التي يفهمها المصلون.

٢ ـ يجب حذف القراءات المطولة وأناشيد الخلاعة من الصلاة وجعل الطقوس الأخرى بشكل رزين يتفق مع التعبد.

٣ ـ يجب التقيد بالقوانين المأكلية والطقوس السبتية لكي يدخل الدين إلى الحياة العائلية.

٤ ـ الأمة اليهودية كشعب يعي ذاته ويجمع على تعريف نفسه كثالوث يتألف من الشعب الإسرائيلي والتوراة والإله، فهذه المقومات متساوية ولا يتصور أحدها بدون الآخر، فالتوراة والتلمود وإن لم يكن سماوياً ولكنه للإجماع عليه يمثل احد مقومات الدين اليهودي.

٥ ـ إن أي تغيير أو زيادة لا بد أن تقوم على أساس دراسة التاريخ اليهودي واستخراج المعاني والقيم التي حققها السلف لكي يعاد صياغتها بشكل جديد يتناسب مع العصر.

٦ ـ جمع اليهود ضمن إطار واحد والإبقاء على تنوع أفكارهم الدينية وحاجاتهم الاجتماعية.

الدرس الخامس

عقائد اليهود

ذكرنا في ما سبق أن لليهود فرقاً وطوائف تختلف في عقيدتها وتتباين، وما سنذكره هو العقيدة على ضوء نصوص العهد القديم، وهناك ركائز أساسية يظهر من خلالها معالم العقيدة، تتلخص بالمفردات الثلاث: الله، الأنبياء، اليوم الآخر. فما هي ثقافة اليهود من خلال العهد القديم في هذه الأمور؟

العقيدة في الخالق

ليس للخالق عندهم في الكتاب المقدس اسم واحد بعينه، وإنما ورد له أكثر من اسم، ولكل اسم تفسير مختلف ومغاير للآخر، فإضافة إلى كلمة رب كثيرة الاستخدام عندهم، ورد في العهد القديم ثلاثة أسماء للخالق هي: أودناي، إيلوهيم، يهوه، هذا عدا عن الاسم العام الذي يستخدمونه مع غيرهم من الشعوب «إيل».

وأما صفات الخالق عندهم، فهذا ما يثير الاستغراب فعلاً، فنصوصهم جعلته بصورة الضعيف، فاللّه حسب نصوصهم:

١ ـ يتعب ويستريح ويندم ويتراجع عن أمور قضى بها... واللّه عندهم يسير في الغمام ويسكن فيه، وعندما بُني الهيكل فضل الإقامة فيه، إلى آخر ما هنالك من

أنواع الأوصاف التي لا تليق بالذات الإلهية. فالرب عندهم يسير في الجنة ليتفقد آدم وحواء بعد أن جعلهما فيها، وما أن يسمع آدم وقع قدميه (الرب) حتى يختبئ لأن سوءته قد ظهرت بسبب تناوله ثمراً من الشجرة التي منع من الأكل منها: «فسمعا صوت الرب الإله وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم قال له أين أنت؟ قال: إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت»[١].

وإنه تعالى ينزل من السماء ويتشاجر مع أنبيائه ويُهزم «فبقي يعقوب وحده، فصارعه رجل إلى طلوع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس حق وركه فانخلع ورك يعقوب من مصارعته له، وقال أصرفني لأنه طلع الفجر، فقال يعقوب لا أصرفك أو تباركني فقال له ما اسمك، قال: يعقوب قال: لا يكون اسمك يعقوب في ما بعد بل إسرائيل لأنك صارعت الله والناس فغلبت»[٢].

٢ ـ وهو إله يحسد البشر ويحقد عليهم فقد ورد في سفر التكوين (١٧:٢) أنه منع آدم من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. ولما أكل منها خاف الله أن يأكل آدم من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد، فأخرجه من جنة عدن وشدد الحراسة على شجرة الحياة[٣]. وحينما رأى الناس متفقين ومتعاونين ويتكلمون لغة واحدة حقد عليهم وبلبل ألسنتهم وشتتهم كما ورد في سفر التكوين (٩ ـ ١: ١١).

٣ ـ وهو إله قاس ظالم، فقد أمر اليهود بإفناء الشعب الفلسطيني كما ورد في سفر التثنية: (٣ ـ ١: ٧) وكذلك في موضع آخر في سفر التثنية (٢٠:١٦): «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمة ما». وفي سفر صموئيل الأول (٢: ١٥) «هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق (قبيلة فلسطينية) بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من

(١) سفر التكوين الاصحاح ٣ فقرات: ٨ ـ ٩ ـ ١٠.

(٢) سفر التكوين، الاصحاح ٣٢، فقرة ٢٥ ـ ٢٩.

(٣) التكوين ٢٤ ـ ٢٢: ٣.

مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً».

٤ ـ وهو إله يندم، قال حكاية عن موسى: «وقال له ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر أن توقعه بشعبك ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»[١].

٥ ـ حتى أنه يمكن أن يتأله البشر، ورد في سفر الخروج (١:٧): «فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون» وورد أيضاً في سفر الخروج (٦:٤): «وهو (هارون) يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً» إن استخدام هذه الكلمة بحق موسى أمر يفضي إلى الشرك ولا يعقل أن يقول الله هذا الكلام لموسى عليه السلام.

هذه هي عقيدة اليهود في الله تعالى،تغشاها وثنية واضحة.

عقيدتهم بالأنبياء

إذا كان اليهود قد تطاولوا على الذات الإلهية، وألصقوا بها ما لا يليق بالعزة الإلهية، فمن غير المستغرب أن يتطاولوا على الأنبياء فيصورونهم بصورة المقترفين للذنوب والآثام، وقد تصل هذه الأخطاء إلى حدود الأفعال التي يعفُّ اللسان عن ذكرها، نشير إلى بعضها:

١ ـ قصة لوط وابنتيه: ما يذكرونه في الأكذوبة التي يلصقونها بلوط عليه السلام وابنتيه، والتي لا يمكن أن تحصل إلا في مجتمع فاقد للقيم إلى ابعد الحدود. هذا مع أن ابنتي لوط كانتا من الناجين من قومه لأنهم لم يعصوا، فكيف لهم يا ترى أن تحصل فيهم أفعال شنيعة في المستوى الذي ورد في سفر التكوين، (الاصحاح ١٩ ـ ٣٠ ـ ٣٨) قالوا: «وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى إن

(١) سفر الخروج، الاصحاح ٣٢، الفقرة: ١٨ ـ ١٠.

آبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على الأرض كلها تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هاأنا ذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى ابناً وسمته موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمته بنعميّ وهو أبو بني عمون إلى اليوم».

٢ ـ معصية داوود: وقد نال داود عليه السلام نصيبه من الافتراء وكيف يخطط ليظفر بزوجة أحد جنوده في قصة أوريا الحثي، كما وردت تفاصيل القصة بتفصيل ممل، وكان ختامها (وساء ما صنعه داود في عين الرب) [1].

٣ ـ شرك سليمان: وكذلك اتهام سليمان بالشرك وعبادة آلهة الوثنيين لا لسبب إلا إرضاءً لنسائه، ورد في سفر الملوك الأول ما هذا نصه: «وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع ابنة فرعون من الموآبيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحثيين ومن الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل: لا تختلطوا بهم وهم لا يختلطوا بكم فإنهم يميلون بقلوبكم إلى اتباع آلهتهم فتعلّق بهن سليمان حباً لهن. وكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سُريّة فأزاغت نساؤه قلبه. وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه مِلن بقلبه إلى اتباع آلهة غريبة فلم يكن قلبه مخلصاً للرب إلهه، كما كان قلب داود أبيه، وتبع سليمان عشتاروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمّون. وضع سليمان الشر في عيني الرب ولم يَتِمّ اقتفاءه للرب مثل داود أبيه. حينئذٍ بنى مشرفاً لكاموش رجس موآب في الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون، وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٩ فقرة ٣٠ وحتى ٣٨.

اللواتي كن يَقتّرن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله إسرائيل الذي تجلى له مرتين وأمره في ذلك أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أمره الرب به»[1].

كيف يقبل اليهود بنبي يشرك بالله ويعبد الأوثان.

٤ ـ موسى وهارون: ورد أن موسى وهارون خانا الله ولم يثقا بكلامه حيث أمر موسى أن يضرب بعصاه الصخر حتى يخرج الماء لبني إسرائيل (التثنية ٣٢: ٥١) و(العدد ١١ ـ ١٠: ٢٠)، وورد أيضاً أن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل (الخروج ٤ ـ ٢: ٣٢).

هذه القصص التي احتواها «العهد القديم» تحمل التهم للأنبياء، لا هدف منها كما يظهر من قراءتها، سوى النيل من النبوة والأنبياء، يضاف إلى ذلك التشجيع على المعصية والرذيلة، والحث على اتباع الشهوات والعمل على اشباعها دون ضوابط ولا قواعد، حتى لو كان في المسألة مخالفة للشرع أو للقيم الأخلاقية في حدها الأدنى.

إن هذا المنهج الذي يتبعونه يقود إلى تحلل أبناء المجتمع الذين يأخذون بهذه النصوص.

عقيدتهم باليوم الآخر

ذكرنا أن اليهود قد انقسموا إلى فرق ومذاهب شتى، وبعض هذه الفرق تؤمن باليوم الآخر والحساب والمعبر عنه بيوم الدينونة، وبعضها لا يؤمن كفرقة الصدوقيين التي تعتبر أن الثواب والعقاب إنما هو في دار الدنيا، والحياة الدنيا هي الأساس ولا شيء وراء ذلك غير التلاشي والعدم.

وأما العهد القديم فقد أغفل هذه المسألة ولم يتعرض لها بشكل واضح.

نعم ورد في العهد القديم عدة موارد ذكرت فيها الهاوية «سشيول» والمراد بها

(١) سفر صموئيل الثاني الاصحاح ١١، الفقرات: من ١ حتى ١٨ و٢٦ و٢٧.

محل الأموات، وهي عبارة عن أعماق في الأرض كما في التثنية (٢٢ ـ ٢٣) «فتتقد إلى الهاوية السفلى...»، وفي أيوب ١٦ ـ ١٧ «تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ ترتاح معاً في التراب». فالهاوية عبارة عن مكان مظلم ومحل للنسيان يستريح فيها أرواح الأموات وليست هي عبارة عن القيامة بمعنى يوم الحساب الذي يلقى فيه الإنسان جزاء أعماله وبعدها ينتقل إما إلى جنة النعيم أو إلى جهنم النيران.

الدرس السادس

البعد التشريعي وأثره في المجتمع اليهودي

تحتوي الشريعة اليهودية على منظومة قوانين وأحكام وتشريعات منها ما يتعلق بالفرد، ومنها ما يرتبط بالإطار الجماعي بهدف التماسك وتمتين اللحمة فيما بين الأفراد من خلال تلك الشعائر والطقوس التي ترتبط بأحداث جماعية لها صلة بالماضي السحيق... ومعرفة ذلك له أهمية من جهة الاطلاع على ما عند الآخر، ويصب في الرضى المعرفي.

الصلاة عند اليهود

الصلاة عندهم فريضة واجبة على النساء والرجال... وكانوا يصلون جلوساً ووقوفاً، يركعون ويسجدون، ويبوقون، ويصوتون، ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا [1].

من الصلاة ما هو فردي، ومنها ما هو جماعي يشترك فيها كثيرون ويقودها أحد الكهنة.

أما الفردية فهي صلوات ارتجالية من أفراد، تتلى حسب الظروف والاحتياجات

(١) الفكر الديني الإسرائيلي، ص١٧١.

الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم... وهناك نماذج من تلك الصلوات الواردة في النصوص. منها ما في سفر الخروج عند صلاة موسى على طور سيناء بعد خروج بني إسرائيل بقيادته من مصر، وبعد أن ظهر فساد من قومه أغضب الرب الذي أراد أن يعاقبهم على فعلهم...

ومنها صلاة إبراهيم عليه السلام من أجل خلاص أهل سدوم من الهلاك. ومعلوم ما كان يفعل أهل سدوم بلد لوط عليه السلام من الشذوذ مما أغضب الرب عليهم. فتدخل إبراهيم بصلاته الفردية متضرعاً للرب كي يعفو عنهم. وقد ورد ذلك في سفر التكوين الاصحاح ١٨.

أما الصلاة الجماعية المشتركة فمن أنواعها، التي ورد الحديث عنها في التوراة، وكانت للبركة، وقد وردت في سفر العدد الاصحاح ٦. وهي تحتاج إلى استعداد وتحضير حتى تؤدى على وجه صحيح.

وللصلاة هذه مواقيت ثلاثة:

١ ـ صلاة الفجرة ويسمونها صلاة السحر (شحاريت) ووقتها بحسب المشنا منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.

٢ ـ صلاة نصف النهار أو القيلولة (منحه) وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب.

٣ ـ صلاة المساء ويسمونها صلاة الغروب (عربيت) ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة [(١)].

وللرجال لباس مميز خاص يرتديه الواحد منهم عند تأدية الصلاة، أهم ما فيه الخيوط الزرقاء المتدلية من الشال. والأزرق هو لون الراية الإسرائيلية اليوم، وهو لون سقف القبة في هياكلهم.

وعندما يريدون تأدية الصلاة، وبعد غسل اليدين يوضع الشال الصغير على

(١) الفكر الديني الإسرائيلي، ص١٨١.


شال الصلاة

الكتفين أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة في المعبد كصلاة السبت والأعياد، وهذا الشال يكون من نسيج أبيض مستطيل أو مربع. وفي كل زاوية من زواياه حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط أربعة بيضاء وأربعة زرقاء، رمزاً للتعرف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق. ولهذا الشال في طهارته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء، ويخصص له موضع معلوم في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف والعبادة وهي ثلاث عشرة سنة، ويبقى عنده إلى أن يموت فيكفن عادة فيه.والصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس[1].

الصوم

الصوم عبادة فيها تعبير عن الالتزام بطاعة الله وطلب القرب منه. والصوم عندهم قد يؤديه بعض الأتقياء بمفردهم، وقد يؤدونه جماعة في موقف أو في مناسبات معينة.

والصوم الكبير عندهم في يوم الكفارة، وهو يوم نجاة موسى مع قومه بني إسرائيل من فرعون في البحر.

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا اليوم: هو يوم صوم واتضاع وتكفير عن خطايا الأمة... وكان العبرانيون يمتنعون فيه عن أي عمل، وكانوا يجتمعون في احتفال مقدس يصومون في أثنائه، وكان هذا هو الصوم الوحيد المطلوب منهم حسب الناموس (ص٧٨٢).

ومن أنواع الصوم عندهم ما يكون في اطار شفاء مريض، وقد يكون تعبيراً عن الحزن.

---

(١) د. أسعد السحمراني: من اليهودية إلى الصهيونية، ص١٢٤.

في سفر صموئيل الأول: فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وصبّوا أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد خطئنا إلى الرب وقضى صموئيل لبني إسرائيل في المصفاة [١].

بعض التشريعات الأخرى

وهذه بعض الأمور الواردة في شرعهم:

أ ـ الطهارة:

كان لموضوع الطهارة والنجاسة شأن في الشريعة اليهودية والمجتمع اليهودي على أساس أن طبيعة القداسة التي يتصف بها الله ترفض وتنبذ ما هو غير قدوس، أي غير جاهز [٢].

هناك نصوص في العهد القديم جاءت تأمر بالطهارة من خلال غسل بعض الأعضاء قبل مباشرة الأعمال التعبدية من ذلك: «وكلم الرب موسى قائلاً: اصنع مغتسلاً من نحاس مقعده من نحاس للغسل واجعله بين خباء المحضر والمذبح واجعل فيه ماء، فيغسل هارون وبنوه منه أيديهم وأرجلهم إذ دخلوا خباء المحضر فليغسلوا لئلا يموتوا وإذا تقدموا إلى المذبح ليخدموا ويقتروا وقيدة للرب فليغسلوا أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا، يكون ذلك لهم رسم الدهر له ولنسله مدى أجيالهم [٣].

والطهارة تستلزم عزل من ليس بطاهر، وأن لا يشترك مع الجماعة بعمل قبل أن يتطهر بالاغتسال، وقد جاء نص حول هذا الأمر فيه: «إذا كان فيكم رجل ليس بطاهر من عارض الليل فليخرج إلى خارج المحلة ولا يدخل داخلها. وعند إقبال الليل يغتسل بالماء وعند غروب الشمس يدخل داخل المحلة» [٤].

---

(١) الإصحاح ٧، فقرة٦.

(٢) المجتمع اليهودي: زكي شنودة، ص٢٠٠.

(٣) سفر الخروج الاصحاح ٣٠، فقرة: ١٧ ـ ٢١.

(٤) سفر تثنية الاشتراع، الاصحاح ٢٣، فقرة ١٠ ـ ١١.

والجنابة التي تحصل بموافقة الرجل لزوجته هي نجاسة تستلزم الطهر: «وأي رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميع بدنه بالماء ويكون نجساً إلى المغيب. وأي امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتضحا بالماء ويكونان نجسين إلى المغيب»[1].

ب ـ القرابين:

وكانت القرابين تقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية[2].

لكن تنفيذ القرابين والنذور لا يكون في أي مكان يختاره الشخص إنما يجب أن يكون في الهياكل وبيوت العبادة حيث يوجد مكان خاص لذلك هو المذبح. وقد جاء في سفر تثنية الاشتراع: «لا يجوز لك أن تأكل في مدنك أعشار بُرّك وعصيرك وزيتك، ولا أبكار بقرك وغنمك، ولا شيئاً من نذورك التي تنذرها وتطوعاتك وتقدمة يديك. ولكن أمام الرب إلهك تأكلها في الموضع الذي يختاره الرب أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في مدنك، وتفرح أمام الرب إلهك بما امتدت إليه يدك»[3].

ج ـ الختان:

وفق نصوص العهد القديم كان أول من اختتن إبراهيم عليه السلام ومعه ابنه إسماعيل وسائر الذكور من بيته كما ورد في سفر التكوين: «فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من أهل منزله مختن القلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به...»[4].

والختان عند اليهود هو «العلامة الجسدية للعهد، والتي يجب على كل إسرائيلي

(١) سفر اللاويين، الاصحاح فقرة: ١٦ ـ ١٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٧٢١.

(٣) سفر التثنية، الاصحاح ١٢، الفقرات: ١٧ ـ ١٨.

(٤) سفر التكوين الاصحاح ١٧، فقرة ٢٣.

ذكر أن يحملها في جسده منذ اليوم الثامن لولادته... وهو الشرط الذي لا بد منه لإمكان الاحتفال بالفصح، حيث يعلن بنو إسرائيل أنهم شعب مختار...»[1].

د ـ المأكولات والمشروبات:

الدم والذبائح ولحم الخنزير: الدم هو الحياة، لذلك يحمل طابعاً قدسياً عند اليهود ولذلك عد من أعمال التكفير الهامة، ومن أساليب تقديم القرابين من الذبائح أن يراق دم الذبيحة فيصب قسم منه على المذبح، والقسم الآخر يرش على الشعب بقصد البركة.

ولأن الدم هو الحياة حرمت الشريعة الموسوية أكل الدم المسفوح من المواشي عند ذبحها. جاء في سفر الأحبار (اللاويين): «لأن نفس الجسد هي في الدم ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس، لذلك قلت لبني إسرائيل لا يأكل أحد منكم دماً...» [2].

أما بالنسبة للحيوان فقد حرمت الشريعة أكل كل حيوان لا يكون ظفره مشقوقاً وكل حيوان غير مجتر: «كل حيوان ذي ظفر غير مشقوق، وكل ما لا يجتر فهو نجس لكم، كل من مسه يكون نجساً» [3].

ويحرمون أيضاً من الحيوانات المجترة الأرنب، لأن ظفره غير مشقوق: «والأرنب فإنه يجتر ولكنه غير مشقوق الظفر فهو رجس لكم»[4].

والتحريم المغلّظ في الشريعة اليهودية، هو تحريم أكل لحم الخنزير. وقد جاء في سفر الأحبار: «والخنزير فإنه ذو ظفر مشقوق ولكنه لا يجتر فهو رجس لكم. لا تأكلوا شيئاً من لحمها وميتتها ولا تمسوا فإنها نجسة لكم»[5].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، ص٢٩٧.

(٢) سفر الأحبار، الاصحاح ١٧، فقرة١١.

(٣) سفر الأحبار، الاصحاح ١١، فقرة٣٦.

(٤) سفر الأحبار، الاصحاح ١١، فقرة ٦.

(٥) سفر الأحبار، الاصحاح ١١ فقرة ٧.

الوصايا العشر

لقد اقترن هذا الاسم بالتوراة حتى أصبحت التوراة هي الوصايا... ولقد أكثر علماء اليهود الكلام حولها واعتبروها من أعظم ما ابتدعته الشريعة الموسوية.

والأصل فيها كما يذكر سفر الخروج أن موسى عليه السلام قد صام عندما كان على طور سيناء طيلة الأيام الأربعين التي كان فيها بين يدي الله «وأقام هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر»[1].

وقد ورد ذكر الوصايا العشر في مكانين من التوراة: الأول في سفر الخروج، وتكرر ذكرها في التثنية، ونصها كما ورد في سفر الخروج: «تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من تحت ولا مما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لها ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أتعقب ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائي وأصنع إحساناً إلى ألوف من أحبائي وحافظي وصاياي.
لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدسه، في ستة أيام تعمل وتنجز كل أعمالك، واليوم السابع سبت الرب إلهك، لا تصنع فيه عملاً أنت وابنك وابنتك عبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب خلق السموات والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

لا تقتل، لا تزن لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا ثماره ولا شيئاً مما لقريبك»[2].

(١) سفر الخروج الاصحاح ٣٤، فقرة ٢٨.

(٢) سفر الخروج الاصحاح ٢٠، الفقرات ٢ ـ ١٧، وسفر التثنية، الاصحاح ٥، الفقرات ٦ ـ ٢١.

وهذه الوصايا العشر تدور حول موضوعين رئيسيين:

الأول: وظيفة المخلوق تجاه خالقه، ويحتوي على أربع وظائف.

الثاني: وظيفة المخلوق تجاه سائر المخلوقين من أبناء جنسه.

ونحن إذا رجعنا إلى وظائف القسم الأول ودققنا النظر فيها نجد أن فحواها يدور في محور واحد، وهو اتخاذ إله واحد والنهي عن عبادة الأصنام والسجود لها والحلف به باطلاً وما شابه ذلك، ورغم أحقية هذه الوصايا ولكن التعليل الوارد لها وما يتبعه لا ينسجم مع صفات رب العالمين، كتعقب ذنوب الآباء في الأبناء...

وأما بقية الوصايا، فإنها من أروع ما تتحلى به التوراة لو أن تلك الوصايا كانت عامة وليست عنصرية وقبلية... فتخصيص الحكم بالقريب، ومن كان من بني إسرائيل كما في النهي عن السرقة وشهادة الزور واشتهاء امرأة القريب. غاية في العنصرية، فالغريب من سائر الأمم الأخرى لا حرج بالشهادة عليه زوراً، كما أنه لا حرج في أن يشتهي الإنسان امرأة الغريب...!

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الوصايا تتناقض مع التوراة بأسرها لأن هذه الوصايا لا تشكل واحداً من ألف بالنسبة إلى التوراة، وأعمال الأنبياء وبني إسرائيل تتناقض مع هذه الوصايا تماماً.

الدرس السابع

المشروع والطموحات

يزعم اليهود أن إقامة دولة لهم في فلسطين ما هو سوى تنفيذ لوعود الرب بأنه ستكون لبني إسرائيل، ودولتهم هذه التي أوجدوا لها رداءً دينياً يستر مشروعهم السياسي دولة لا حدود لها مرسومة أو معلومة. وهذا الأمر لا يظهر فقط في فكرهم الديني والسياسي وأدبياتهم عامة، وإنما يظهر كذلك في طلب انتسابهم لهيئة الأمم المتحدة. فكل دولة لها في ملف انتسابها خارطة وحدود جغرافية إلا دولة «إسرائيل»، فقد قبلت عضويتها دون أن تحدد حدودها الجغرافية، وهذا أمر يؤكد أطماعهم ويبين حقيقة الفكرة التوسعية لديهم.

ومشروعهم هذا لن يتم ما لم يُسلب من حولهم كل مقومات القوة، فالتفوق النسبي لا يكفل تحقيق مرامي الصهيونية ولا يحقق الأمن النهائي لدولة «إسرائيل»، لأنه قابل للتغيير. أما العامل الوحيد، الذي يكفل تحقيق الحلم العنصري اليهودي ويكفل أمنه، فهو تحويله المنطقة إلى شراذم متصارعة متناحرة طائفياً وعنصرياً ومناطقياً، فتتحول شعوب المنطقة إلى موقع الضعف المطلق الذي يقابله القوة المطلقة للكيان المزعوم.

إنشاء الحكومة السرية

لقد فكر المجتمع اليهودي في إنشاء نوع من الحكومة السرية مهمتها إبقاء التكتل العنصري اليهودي فأنشؤوا «السنهدرين» وهو أول تشكيل تنظيمي عنصري في أواخر القرن الميلادي الأول، ثم اختفى في القرون الوسطى، وعاد إلى الظهور بشكل أقل تأثيراً في فرنسا أيام نابليون ليحل محله «القهيلة»، وفي القرن التاسع عشر بدأت أوروبا تشعر بخطر تنظيمات «القهل» سنة ١٨٤٤م مما حدا باليهود إلى تنظيم الصهيونية بشكلها الأخير.



السنهدرين

الحركة الصهيونية

ظهرت الحركة الصهيونية في البداية في أحضان أوروبا، وعرفت بالصهيونية غير اليهودية، وذلك قبل نشوء الحركة الصهيونية اليهودية بثلاثة قرون. وقد استندت أثناء انطلاقتها إلى المفاهيم الدينية والمزاعم التاريخية والنيات الاستعمارية.

تقاطع المصالح

لم تكن الأطماع التوسعية والرغبة في الاستيلاء على فلسطين يعني دولة أوروبية شرقية كانت أم غربية دون غيرها، وذلك بسبب الموقع والمكانة التي تمثلها فلسطين بالنسبة للمصالح الأجنبية التي تغذيها المشاعر الدينية. والغزوات الصليبية مثال صارخ على ذلك.

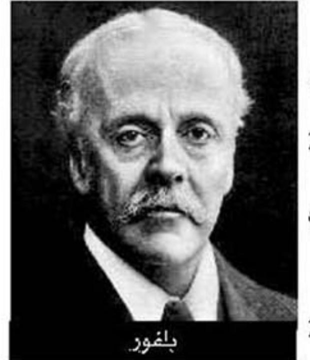
لقد بات واضحاً أن مصلحة الاستعمار، والبريطاني منه على وجه الخصوص، هو البحث عن الوسائل الكفيلة بتفتيت الإمبراطورية العثمانية (الموجودة آنذاك)

وتوزيع شعوب المنطقة وتقسيم أقاليمها على نحو لا يمكنها من التقاط أنفاسها واسترجاع وعيها واستذكار أبهتها وسطوتها، وإلا فإن المصالح الاستعمارية ستكون في معرض الزوال في كل آن. ولتحقيق ذلك لا بد من زرع هذا الجسم الغريب في قلب الأمة الإسلامية ليشكل حاجزاً يمنع من وحدتها ويستنزف طاقاتها، ويكون هذا الجسم مصدراً لكافة أنواع الأمراض والمفاسد، كل هذه الأمور ساهمت في إنشاء الحركة الصهيونية التي كانت تمهيداً لقيام دولة «إسرائيل» في أرض فلسطين[1].

وخطا اليهود خطوة إلى الأمام في محاولة لتنظيم صفوفهم كي يتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم. وكي يشكلوا أداة قائمة فعلاً تشجع الاستعمار على توظيفها لتحقيق أغراضه وهكذا بدأ يتوالى ظهور المنظمات الصهيونية والصناديق المالية الصهيونية إلى أن تَوّج ذلك بمحطة رئيسية على طريق تحقيق الأطماع هي محطة مؤتمر بازل في سويسرا الذي انعقد عام ١٨٩٧ بزعامة ثيودور هرتزل تحت المقولة التالية: تهدف الصهيونية إلى إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام.


هرتزل

ويقصدون من القانون العام ليس مسألة حق، وإنما انتزاع اعتراف من دول النفوذ يومها يبيح للصهاينة ممارسة عدوانهم ودعمهم مشروعهم الاستيطاني لتوطين اليهود في فلسطين وطرد سكانها منها.


بلفور

وفي ظل الظروف والمعطيات، وعشية الحرب العالمية

(١) كما كانت لبريطانيا عبر تاريخها الأسود الطويل، أطماع في فلسطين والمنطقة كذلك كانت لفرنسا أطماع مشابهة. ابتداء من عهد نابليون الذي ناشد اليهود عام ١٧٩٩م لمساعدته في استعادة القدس والعودة إلى أرض الأجداد مروراً بعهد ديغول الذي اعتبر «قيام إسرائيل ضرورة تاريخية» وصولاً إلى التعاون الذي ظهر في العام ١٩٥٣ باتفاقية تقضي تزويد فرنسا للكيان الصهيوني بمجموعة من علماء الذرة والتي استكملتها في العام ١٩٥٧ باتفاقية سرية أنجز من خلالها مفاعل «ديمونة» النووي.

الأولى، ومع بدء مشروع السيطرة الأوروبية المباشرة، صدر وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وزير خارجية بريطانيا يومها، وقد وجه وعده إلى رجل المال اليهودي روتشيلد.

وفي هذا السياق بدأ العمل على تهيئة مبرر ما لاستعمار فلسطين من قبل اليهود، فكان التأكيد على مفهوم الارتباط التاريخي بين اليهود و«أرض إسرائيل» ضمن التصور الصهيوني، بالعودة إلى الزمان القديم ١٢٠٠ق.م وهو التاريخ الافتراضي لقيام «مملكة إسرائيل» والاهتمام الكبير به يهدف إلى إضفاء الشرعية على الدولة الحديثة «الوطن» وهو الذي يسيطر على الخطاب التاريخي الذي أنتج مقولة «استملاك الماضي جزء من سياسة الحاضر» وكان التركيز على محاولة إبراز عناصر قوة حتى لو كانت قائمة على فرضيات لتحصنها من الصعوبات التي تواجهها في وسط محيط معاد يهدد إمكانية استمرارها.

ووجدت من بريطانيا خير معين لها على ذلك، خصوصاً مع توافق هذه الحركة مع الذهنية الإنكليزية عموماً، والتي تدين بالمذهب البروتستانتي الذي يشكل أساس الصهيونية المسيحية، وهو مذهب يدعو إلى إقامة التوراة والإنجيل معاً، بما فيها إقامة دولة «إسرائيل» على أرض فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح المخلص إلى الأرض في ما يزعمون. هذه الذهنية التي أوجدت صهيونية غير يهودية هي التي جعلت ثمة قبولاً لمزاعم اليهود عند قطاع واسع من الأوروبيين حيث أفهمتهم بأن العهد الألفي السعيد (الألفية تعتقد بأن ألف سنة تبدأ بعودة المسيح المنتظر يعم فيها السلام والعدل) لن يبدأ إلا بعد تجميع اليهود في فلسطين وتنصيرهم.

الهجرة اليهودية إلى فلسطين

وعلى المستوى الميداني فقد أسرع اليهود إلى جمع الأموال لمساعدة الوافدين إلى فلسطين، وإرسال أكبر عدد منهم انتهازاً لهذه الفرصة الثمينة التي قد لا تتاح لهم

مرة آخرى. وآدركت بريطانيا من جهتها آن هجرة اليهود إلى فلسطين تشكل ركن الزاوية في إنشاء خلل ديموغرافي في المنطقة التي لازالت تقض مضاجعهم، ومن جهة ثالثة، فإن شعوب أوروبا عموماً، والذين ضاقوا ذرعاً بفتن اليهود وأحقادهم، ربما يجدون في هجرتهم عنهم بداية خلاص لهم من كل ممارسات اليهود الشائنة، ولو كان ذلك على حساب مشاعر أهل الأرض السكان الأصليين وراحتهم واستقرارهم. ونشطت الهجرة اليهودية مدعمة بالمعونات المادية والغطاء الاستعماري الذي تعامى عن مجازرهم وآثامهم التي اقترفوها بحق أصحاب الأرض، بل أمدوهم بالسلاح والعتاد في وجه الشعب الأعزل والغافل عما يحاك له في الخفاء نتيجة غياب القيادات الواعية والمخلصة في المنطقة بوجه عام.

وفي تلك الأجواء كان اليهود يمارسون من خلال منظمتهم الصهيونية وقبلها الإرهاب على اليهود حيثما وجدوا ليدفعوهم إلى ترك أوطانهم الأصلية والوفود إلى فلسطين، وأبرز مظاهر هذا النوع من الإرهاب وأهمه الذي كشف عنه المؤرخ الإسرائيلي توم سيغف في كتابه (تحت حماية الغستابو) مبيناً تواطؤ الحركة الصهيونية مع الحركة النازية لتهجير اليهود إلى فلسطين[١].

العنصرية بين اليهود

كما اتضح في ما سبق، فإن اليهودية ليست ديناً خاصاً ببني إسرائيل، بل دخل العديد من الشعوب الآسيوية والأوروبية والإفريقية في هذه الديانة عبر القرون، وهي شعوب متباعدة في عاداتها وثقافتها ... وهذا الواقع قد جعل من المستحيل القول بإمكانية إنشاء قومية واحدة بين هذه الشعوب المتباينة.

ويقسم بعض الباحثين اليهود إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١ - **الاشكنازيون:** هم اليهود الذين ينتسبون إلى العنصر الألماني، وقد حافظوا

---

(١) محمد السماك: الإرهاب والعنف السياسي، ص٨٦.

على لغتهم الأصلية «اليديش» وهي اللغة الألمانية القديمة، ثم انحرفت عنها عبر إدخال مفردات عبرية وغيرها إليها.

٢ ـ **السفارديون:** هم اليهود المهاجرون إلى شبه جزيرة ايبيرية بعد الفتح الإسلامي لها عام ٧١١م، وكانوا يتكلمون في إسبانيا اللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم انتقلوا إلى اللغة الاسبانية قبل أن يطردوا من اسبانيا حيث تفرقوا في جنوب أوروبا وأفريقيا.

٣ ـ **الشرقيون:** هم الذين انتشروا في بلاد الشرق بعد السبي والطرد والتشريد، وكانوا يتكلمون لغات البلاد التي نزحوا إليها مع احتفاظهم باللغة الآرامية في ما بينهم.

ثم تطور هذا التقسيم فأصبح الاشكناز يطلق على الذين كانوا يعيشون في الغرب في بلدان أوروبا وأميركا، والسفارديون هم الذين كانوا يعيشون في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

مشكلة اليهود الشرقيين

كان اليهود الشرقيون يترفعون عن الغربيين، فلا يخالطونهم ولا يشاركونهم في معابدهم ولا يزوجون بناتهم منهم، نتيجة ما يرونه في أنفسهم من عراقة النسب ورقي المستوى الثقافي، وحالة الانفتاح النسبي على مجتمعاتهم التي عاشوا فيها، خلافاً للغربيين.

وقد انعكست هذه الحالة بعد تأسيس الكيان الإسرائيلي في فلسطين، حيث تأسست الحركة الصهيونية من اليهود الغربيين، كما تشكلت الدولة المزعومة على أيديهم، فبعد نقل اليهود الشرقيين إلى داخل فلسطين أدرك هؤلاء أنهم ضحايا التمييز العنصري داخل هذا الكيان الذي يعتبرهم فئة أدنى في الحقوق والمواطنية من الاشكناز، فكانوا يرزحون تحت نير الفقر والمشكلات الاجتماعية أكثر من

غيرهم، مما آثار في نفوسهم الكراهية تجاه اليهود الغربيين.

مشكلة اليهود السود

عرف اليهود السود باسم «الفلاشا» وهم طائفة حبشية اعتنقت الديانة اليهودية واعتزلت الناس وتمركزت في أعلى وأوعر جبال الحبشة «جبال سليمان».

ولما كان القانون الإسرائيلي يمنح كل يهودي في العالم حق الهجرة إلى فلسطين، فقد هاجر قسم منهم اختياراً عبر اتفاقية تمت بين حكومتهم والكيان الصهيوني.

ولكن سرعان ما انفجرت روح العنصرية ضدهم، وأخذت علاقاتهم باليهود البيض تسوء كثيراً، ونتيجة الخوف من تزايد عدد اليهود السود قامت حكومة الكيان بإصدار قرارات بطرد بعضهم من فلسطين ومنع مجموعات أخرى منهم من الهجرة إليها، وقد عبّر بعضهم عن هذا الأمر بقوله «يؤلمني مصير هؤلاء السود... ويؤلمني بشكل أشد العنصرية التي أخذت تنمو في أوساطنا والتي من شأنها أن تشوّه شكل دولتنا وطابعها».

مصير هذا المجتمع

وهكذا يظهر أن المجتمع الإسرائيلي مملوء بالتناقضات، ويحمل في طياته بذور زواله، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[1]، وإذا أضفنا إلى ذلك المسألة الأساسية أي مشكلة عدم تنازل المسلمين والفلسطينيين عن هذه الأرض المقدسة، يتبين أن هذا الكيان المصطنع آيل إلى الزوال لا محالة، وأن بقاءه المؤقت مرتبط بقوة الاستعمار وضعف وغفلة الشعوب المسلمة، وهذا ما لا يمكن بقاؤه طويلاً، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾[2].

---

(١) الحشر: من الآية ١٤.

(٢) الإسراء: من الآية ٧.

وقد بدأت آذاننا تسمع صوت تحطم عظام هذا الكيان الغاصب على أعتاب جبل عامل بعد تحرير الأرض وهزيمة الصهاينة وكسر هيبة جيشهم...

٢

الفصل الثاني

المسيحية

الدرس الثامن

نظرة تاريخية

نشوء المسيحية

ظهر قبيل بعثة عيسى عليه السلام - بحسب ما ورد في الإنجيل - وفي أرض يهودية شاب هو يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)، ذاع أمره في بني إسرائيل وكان يعظ الناس بقوله «توبوا، قد اقترب ملكوت السماوات»[1]. ويُراد بملكوت السماوات لدى بني إسرائيل: مملكة السماء، وهي هدفهم النبيل. وقد أحرزت دعوة يوحنا المعمدان نجاحاً باهراً، وكانت تقصده جماعات كثيرة وتتوب على يديه، وكان هو يعمّدهم (أي يغسلهم في نهر الأردن لتطهيرهم من الخطايا والذنوب). وكان يحيى عليه السلام جريئاً في الحق، وقد ندّد بخطايا هيرودس ملك اليهود الظالم وحاكم ولاية الجليل، فأمر بقطع رأسه في السجن.


يوحنا المعمدان. بريشة مسيحية

واصل عيسى مهمة يحيى وبدأ دعوته مبشراً بقرب ملكوت السماء وتصدى للإرشاد والوعظ في الكنائس. واختار في بداية الدعوة أتباعاً يستعين بهم على

(١) متى: ٣ - ٢، مرقس: ١ - ٤، لوقا: ٣ - ٣.

نشرها، وقد عُرف هؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسى عليه السلام، واختار منهم ١٢ تلميذاً سمّاهم الرسل، وأطلق عليهم القرآن الكريم اسم الحواريين[١]. وأسماؤهم كما وردت في الأناجيل: شمعون بن يونا (بطرس)، اندراوس (شقيق بطرس)، يعقوب بن زبدى، يوحنّا (شقيق يعقوب)، فيليبس، برتلماوس، توماس، متّى العشار، يعقوب بن حلفى، تدّاوس (يهوذا، شقيق يعقوب)، شمعون الغيور، يهوذا الإسخريوطي.

وتذكر الأناجيل ـ وكما تنبأ عيسى ـ بأن جميع الرسل انفضّوا من حوله حينما ألقي القبض عليه، وكان يهوذا الإسخريوطي قد خان المسيح من قبل وأرشد إليه الفريسيين والرومان، وسهّل لهم صلبه وتقاضى منهم على ذلك أجراً، ولمّا مضى عيسى عليه السلام، وبغية إكمال عدد الرسل تم انتخاب (ميتاس) بدلاً عن يهوذا الإسخريوطي[٢]. ويعدّ شمعون من كبار الرسل، وقد أطلق عليه عيسى اسم بطرس (أي الصخرة) لأنه يشكل الحجر الأساس للكنيسة أو المجتمع اليهودي[٣]. وعلى الرغم من أن عيسى عيّن بطرس خلفاً له، إلا أن رسولاً آخر هو بولس حاز على مكانة أفضل حتى عدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.


بولس الرسول

بولس

كان اسمه في البداية شاؤول، وهو من الأسماء العبرية، ثم بدّل اسمه إلى بولس بعد اعتناقه المسيحية.

وكان بولس الروماني الجنسية من اليهود المتطرفين الذين اضطهدوا المسيحيين بعنف، ثمّ ادّعى أنه بينما كان يسير في طريقه من مدينة القدس إلى دمشق لإلقاء القبض على بعض المسيحيين، آنس في الطريق نور

(١) راجع متى: ١٩ ـ ٢٨.

(٢) راجع أعمال الرسل: ١ ـ ١٥ ـ ٢٦.

(٣) راجع متى: ١٦ ـ ١٨ ـ ١٩، ويوحنا: ٢١ ـ ١٥ ـ ١٩.

عيسى عليه السلام، فاعتنق المسيحية بأمره[1]، ثم أخذ بعد هذا التحوّل المفاجئ بالتبشير للمسيحية، وطاف مدناً عديدة ونشر المسيحية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ووجّه رسائل إلى حديثي العهد بالمسيحية نُقل بعضها في العهد الجديد.



بطرس الرسول

وقد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها بولس صراعاً عنيفاً بينه وبين بطرس وسائر الرسل، وانعكس جانب من هذا الصراع في سفر أعمال الرسل، وفي رسائله: «ولكن لما قدم صخر (بطرس) إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم»[2]. كما أشار إلى الإخوة الكذّابين ويقصد بذلك الرسل الذين خالفوه الرأي[3].

انتشار المسيحية

لقد تعرض المسيحيون طيلة (٣٠٠) سنة من ظهور المسيحية إلى ألوان من المحن والاضطهاد، وقدموا ضحايا كثيرة في هذا السبيل، حتى تمكنوا في هذه المدة من وضع أسس الدين، ومن نشره بين أقوام مختلفة، ولكن جهودهم لم تكن تخلو من إخفاقات.

أما موقف السلطات الرومانية من الكنيسة فكان متسامحاً في بعض الأحيان، ولكن غالباً ما لجأ الولاة إلى اضطهاد الأتباع وقتل الكثيرين منهم بمن فيهم بطرس وبولس، ومع مرور الزمن بدأت بعض المراكز كروما وأورشليم والإسكندرية وإنطاكية تكتسب أهمية خاصة وقدرة متميزة، وكان لهذه المدن الأربع بطاركة يرعون شؤونها كما أنشئت في مناطقهم مقاطعات عرفت باسم الأبرشيات يتولى أمورها الأساقفة. ولما بنى قسطنطين عاصمته الجديدة

(١) أعمال الرسل: ٩. ١. ٢١.

(٢) رسالة إلى أهل غلاطية: ٢. ١١.

(٣) راجع الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس: ١١. ٢٢. ٣٣.

القسطنطينية (اسطنبول) في القرن الرابع أصبحت هذه المدينة من المراكز الهامة التي يرعى كنيستها أحد البطاركة. وقد تحول المسيحيون في أيام قسطنطين (المتوفي ٣٣٧م) من مجموعة تضطهدها سلطات الأمبراطورية الرومانية إلى كيان ذي شأن عبر الاعتراف الرسمي بالكنيسة، الأمر الذي أسفر عن تحولات كبيرة في حياتها، ففي ظل الأمبراطوريتين البيزنطية والرومانية أصبح أغلب الناس ـ باستثناء اليهود ـ مسيحيين[1].

الإمبراطورية المقدسة

ما أن اعتنق قسطنطين قيصر الروم المسيحية في مطلع القرن الرابع الميلادي حتى أخذ نفوذ الكنيسة يتصاعد بالتدريج وبدأ تدخلها في السياسة يأخذ منحى صعودياً، وفي عام (٨٠٠م) توّج البابا زعيم المسيحيين شارلمان ملك فرنسا، فكانت هذه الخطوة بداية تأسيس الإمبراطورية المقدسة، ومنذ ذلك الحين أصبح تدخل رجال الدين المسيحي في السياسة أمراً علنياً، وفي ذلك العصر كان اندلاع الحروب الصليبية، واستمر ذلك التدخل إلى عام (١٨٠٦م)، حيث أعلن رسمياً عن إنهاء تدخل الكنيسة في الشؤون السياسية.

إن إحدى أفجع الحوادث التي مُنيت بها الإنسانية في القرون الأخيرة هي صيحات الاعتراض التي رفعها رجال الكنيسة بوجه العلماء والمفكرين الغربيين في سعيهم نحو التقدم والرقي، هذا السلوك غير اللائق أساء إلى الوجه المشرق للدين ودفع الناس إلى إعلان رفضهم للكنيسة. حيث وصل علماء الغرب ومفكروهم إلى نتيجة أن تدخل الدين في السياسة يحقق المنافع لرجال الدين ويجلب المضار للناس كافة، وقد نالت هذه الفكرة تأييداً واسعاً من قبل قطاعات كبيرة من الشعب الذي سخط على الكنيسة وخاض نضالاً فكرياً ومسلحاً ضدها انتهى إلى التحرر من قيودها.

(١) راجع كتاب دروس في تاريخ الأديان ص ٢٠٠.

المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)

انعقد آخر المجاميع المسكونية في الكنيسة بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين، وكان يهدف إلى تجديد الكنيسة الكاثوليكية بمقتضى حاجات العصر الحديث. وقد شارك في المجمع أساقفة كاثوليك من جميع أرجاء العالم، وحضر إلى جانبهم مراقبون من الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية، بالإضافة إلى ضيوف ينتمون إلى الإسلام واليهودية وديانات أخرى .


الفاتيكان

وقد صدر عنه ست عشرة وثيقة، وأهم تعاليمه:

١ - مكانة الكتاب المقدس المميّزة في إيمان الكنيسة.

٢ - كهنوت جميع المسيحيين.

٣ - الالتزام بمتابعة العمل في سبيل الوحدة المسيحية.

٤ - الالتزام الفعّال بالنضال من أجل العدالة والسلام وحقوق الإنسان.

٥ - إقامة شعائر العبادة باللغات المحلية.

٦ - خلاص الله لأتباع سائر الديانات.

وثمّة وثيقة صادرة عن المجمع بعنوان «تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية» والفصل الخاص منها بالإسلام هو أول كتابة عالجت فيها الكنيسة موضوع المسلمين معالجة رسمية، ومما ورد فيه:

- على المسيحيين أن يحترموا المسلمين ويولوهم كل اعتبار.

- المسلمون والمسيحيون يعبدون الإله الواحد خالق السماء والأرض القدير الرحيم المكلّم البشر.

- المسلمون والمسيحيون على السواء يجتهدون في أن يخضعوا لأوامره تعالى.

واختتم المجمع تصريحه حول الإسلام بهذا الكلام: «ولئن نشأت على مر

القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم ويصونوا ويعززوا معاً السلام والحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية لصالح جميع الناس».

الدرس التاسع

الكنائس والأسرار

انقسام الكنيسة

إن أهم الانشقاقات في تاريخ الكنيسة هو ذلك الذي حصل بين كنيستي القسطنطينية وروما، وقد عرف أحياناً بـ «الانشقاق بين الشرق والغرب»، فقد ذهبت الكنيسة الرومانية إلى أن الذين يرعون الكنائس ويسوسونها هم أساقفة العالم عاملين معاً في جسم واحد يشرف عليه أسقف روما، أما كنيسة القسطنطينية فترى أن خمسة مراكز للمسيحية تتساوى في السلطة، وهي: أورشليم وأنطاكية وروما والإسكندرية والقسطنطينية.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في مفهوم السلطة ظلّ المسيحيون التابعون لروما والقسطنطينية متحدين حتى القرن التاسع عندما حصل أول انقسام مؤقت أعقبه مصالحات وانقسامات متعددة لفترات معينة، إلى أن تم الانشقاق الأخير بين روما والقسطنطينية سنة (١٠٤٥م) وقوام هذا الانشقاق استعمال عبارة «والابن» في قانون الإيمان، فالكاثوليك وكذلك البروتستانت يستعملون هذه العبارة للدلالة على إيمانهم بأن روح القدس منبثق من الله الأب ومن عيسى الابن العاملين معاً . أما الأرثوذكس فإنهم يتمسكون بالصيغة الأصلية ولا يستخدمون عبارة

«والابن» ويقولون بأن روح القدس منبثق من الله الأب فحسب.

والمشكلة لا تعني في الواقع إلا علماء اللاهوت، أما عامة المسيحيين فهم بعيدون عن هذا الجدل.

الفرق المسيحية

ظهرت في المسيحية كسائر الديانات فرق ومذاهب متعددة، ويطلق المسيحيون على الفرقة اسم الكنيسة، وثمّة ثلاث فرق أو كنائس كبرى في المسيحية إلى جانب فرق صغرى، والإختلاف بين بعضها (كالكاثوليك والأرثوذكس) جزئي للغاية، في حين كان كبيراً بين بعضها الآخر (كالكاثوليك والبروتستانت)، وفي ما يلي نشير إلى الفرق أو الكنائس الثلاث الكبرى في المسيحية:

١ ـ الكنيسة الكاثوليكية:

وهي قديمة للغاية، يعود تاريخها إلى عصر الحواريين (أي نحو ٢٠٠٠ سنة)، وللكاثوليك رئيس روحي واحد هو البابا، وظهرت لهم منذ تبشير رسل عيسى عليه السلام خمس كنائس كبرى أقيمت في كل من: أورشليم والإسكندرية وإنطاكية والقسطنطينية وروما.

وقد تم تأسيس كنيسة روما على يد بطرس، وتزعمها بولس لبرهة من الزمان، وقد اعتبرت كنيسة روما نفسها أفضل من سائر الكنائس، وبالفعل أصبح تفوقها أمراً واضحاً. يشار إلى أن معنى الكاثوليكية في اللغة اليونانية: الجامع.

٢ ـ الكنيسة الأرثوذكسية:

ظهرت هذه الفرقة قبل ألف سنة، وهي لا تختلف في عقائدها عن فرقة الكاثوليك، غير أنها لا تعترف بسلطة روحية واحدة، بل تذهب إلى أن أسقف روما (البابا) هو كسائر الزعماء الروحيين. وتضم الكنائس الأرثوذكسية البطريركيات الأربع القديمة: القسطنطينية، والإسكندرية، وإنطاكية، وأورشليم، إلى جانب

البطريركيات الحديثة: روسيا، وصربيا، ورومانيا، وبلغاريا، وجورجيا. فضلاً عن الكنائس الأرثوذكسية في قبرص واليونان والجمهوريتين التشيكية والسلوفاكية وبولونيا وألبانيا.

وينضوي المسيحيون الأرمن في عداد الأرثوذكس في العقائد، ولكنها لم تقبل بمجمع خلقيدونية (٤٥١م). ولذا فهي ليست متحدة بالكنائس الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، والزعيم الروحي لتلك الكنيسة هو كاثوليكوس إتْشمِيدَزين.

ويختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في بعض المسائل الكلامية، فهم يعتقدون أن روح القدس صادر عن الأب فقط، بينما يعتقد الكاثوليك والبروتستانت أنه صادر عن الأب والابن معاً. وينكر الأرثوذكس وجود المَطْهَر وهو مكان تطهر الأنفس فيه بعد الموت. يشار إلى أن معنى أرثوذكس في اللغة اليونانية: المستقيم الرأي.

٣ ـ الكنيسة البروتستانتية:

من حوالى (٥٠٠) سنة وحتى اليوم، برزت في المسيحية فرق بروتستانتية لا حصر لها، والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بزعامة روحية مركزية، ولا تقيم وزناً للرهبنة. وترفض عقائد الفرق الأخرى وتؤمن بمسيحية معراة منها، كما أنها حافظت على عقائد غير عقلانية كالتثليث والفداء. يشار إلى أن البروتستانت اصطلاح فرنسي مشتق من اللاتينية معناه المحتج[1].

الأسرار السبعة

يؤمن المسيحيون بأن المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه ومعه، وأنه ما زال ينجز الأعمال التي كان ينجزها مدة حياته من تعليم وصلاة وخدمات وشفاء المرضى وإطعام الجياع ومسامحة الخطأة وتكبد الآلام والموت. تلك الأعمال غير المنظورة التي قام بها المسيح تصبح منظورة في الحياة التي تحياها الكنيسة

(١) راجع كتاب دروس في تاريخ الأديان صفحة ٢٠٠ إلى ٢١٧.

بالأسرار، أو بعبارة أخرى، عندما يشترك المسيحي في أحد الأسرار فإنه يؤمن إذ ذاك بأنه يلتقي المسيح الذي قام من الموت ومنحه نعمة الله المخلّص.

ويتفق جميع المسيحيين تقريباً على أن السرين الأساسيين هما التعميد والعشاء الرباني، وثمة خمسة أسرار أخرى يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك، فيكون مجموع الأسرار سبعة.

أما البروتستانت فإنهم يختلفون في عدد الأسرار التي يعتقدون بها باختلاف طوائفهم، على الرغم من أن السواد الأعظم منهم يقبل السرين الأساسيين. وثمة كنائس بروتستانتية قليلة لا أسرار عندها، والأسرار السبعة هي:

١ ـ **التعميد:** وهو نوع من الغطس في الماء، وفي بعض الكنائس يتم سكب الماء على رأس من يطلب التعميد، وفي بعضها يغطس المتعمد في حوض من الماء ثم يخرج منه، ويتم التعميد في عدد من الكنائس باللجوء إلى المياه في وسط الطبيعة، أي إلى الأنهار والبحيرات، ويقرأ القسيس عند التعميد هذه العبارة المقتبسة من إنجيل متّى: «إني أعمدك باسم الأب والابن وروح القدس»، ودرجت العادة أن يكون التعميد في عيد الفصح (أول يوم أحد من صيرورة القمر بدراً عقب الاعتدال الربيعي في ٢٢ آذار إلى ٢٥ نيسان).



المعمودية

والتعميد هو أول الأسرار وأساسها، فهو الدخول في الجماعة المسيحية، وهو الوسيلة التي بها يمنحه الله سائر المفاعيل الناتجة عن حياة عيسى وموته. والتعميد يكون مرة واحدة.

٢ ـ **التثبيت:** ويتولاه الأسقف أو من ينوب عنه، وقوامه أن يمسح طالبه بالزيت في حين يقال له: «تقبل روح القدس لتستطيع تأدية الشهادة للمسيح»، وقد تختلف تلك العبارة اختلافاً بسيطاً بين الكنائس.

والتثبيت هو القسم الثاني من طقس التدرج في المسيحية، ففي التعميد يكون

التركيز على الخلاص من الخطيئة، إذ يصالح الله تعالى الخاطئ ويدعوه إلى حياة الإيمان والطاعة، أما في التثبيت فإنه يقوي من يتقبله ليتحمل أعباء مسؤوليته في المجتمع على ما يليق بالمسيحي الراشد.

٣ ـ **الزواج المسيحي:** يرى المسيحيون أن الزواج ليس من الأمور الدنيوية، فهو يرمز إلى حب الله للبشرية، ولما كان الزواج وحده حباً بين شخصين يلتزمان العيش معاً في الأمانة المتبادلة والتعاون ويسعيان لخلق جو يساعد على إنجاب الأولاد وتربيتهم بحيث يعيشون في الإيمان وحباً الله، فإن المسيحيين يعتبرونه رمزاً بشرياً للطريقة التي يعامل الله بها الإنسانية، ذلك بأن الله سبحانه يحب الناس ويهتم بهم ويظل أميناً لوعوده لهم، ولهذا السبب يرون أن الزواج التزام مدى الحياة، ولا يوافقون على الطلاق وإعادة الزواج مادام القرين حياً.

٤ ـ **الدرجات المقدسة:** بهذا السر يكرس المرء حياته لخدمة الجماعة المسيحية، ومن خلالها جميع بني البشر، وهناك ثلاث درجات أساسية: المطران (يمثل المسيح في منطقة معينة تدعى الأبرشية، فينوب عنه معلماً وإماماً لمراسم العبادة وخادماً)، الكاهن أو القسيس (يعاون المطران في مهامه على صعيد جماعة واحدة)، الشمّاس (يبشر بكلمة الله ويساعد الفقراء والمسنين والمرضى والمحتضرين). وأما سائر الألقاب فهي تشير إلى وظائف معينة في الجماعة، ولا مدلول لها على صعيد الأسرار.

٥ ـ **المصالحة:** أو سر التوبة، وقد اتخذ وجوهاً مختلفة على مر القرون، ففي العصور الأولى من تاريخ الكنيسة كانت التوبة تتم على نحو علني، ثم في العصور المتأخرة درجت عادة الاعتراف الفردي بالخطايا.

في سر التوبة أو المصالحة يتقبل المسيحيون غفران الله، ويأتي المسيحيون إلى سر المصالحة ليسمعوا كلام الغفران الإلهي، وليتذكروا كيف أن الله حقق مغفرته هذه الحاضرة أبداً بواسطة أفعال الخلاص التي أجراها المسيح أثناء حياته.

٦ـ **مسحة المرضى:** مسحة المرضى بالزيت المقدس تؤكد للمريض أنه ليس وحده، بل إن المسيح معه يقوده إلى الله تعالى، وأن ثمة جماعة من إخوانه المؤمنين تدعو له، ومعه.

٧ـ **العشاء الرباني:** لقد ابتكرت الكنائس طقوسها أو شعائرها الخاصة للاحتفال بالعشاء الرباني، إلا أن هناك عنصرين أساسيين ثابتين في سائر تلك الطقوس هما: القراءات في الكتاب المقدس، وتناول القربان المقدس. وفي خلال مباركة الخبز والخمر يتلو المترئس كلمات المسيح في العشاء الأخير.


العشاء الرباني

يشعر الكثير من البروتستانت بأن العشاء الرباني بالغ الخطورة بحيث ينبغي التهيّؤ له على أتم وجه، فلا يحتفل به إلا في بعض المناسبات، وبناء على ذلك يقيم الكثيرون منهم عشاء الرب أربع مرات في السنة، أو مرة واحدة في الشهر، أما الأرثوذكس فيحتفلون به في أيام الأحد والأعياد، في حين يرى الكاثوليك أن العشاء الرباني قلب عبادة الله اليومية، وهذا ما يحدوهم إلى الاحتفال به كل يوم.

ويعتبر العشاء الرباني العمل الأساسي في الإيمان المسيحي وشعائر العبادة المسيحية، وهو في نفس الوقت ذكرى لعشاء المسيح الأخير مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته، في اثناء ذلك العشاء أعطى المسيح تلاميذه الخبز والخمر على أنهما جسده ودمه، ويؤمن المسيحيون أنهم حين يشتركون في هذا العشاء يكون المسيح موجوداً معهم وجوداً جسدياً، ويؤمنون أيضاً أنه كما أبرم العهد بين الله والشعب اليهودي بدم الذبائح على جبل سيناء، فكذلك يبرم العهد الجديد بين الله والبشر بدم عيسى المسيح[1].

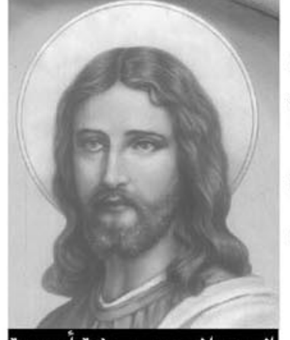
(١) راجع كتاب : دروس في تاريخ الأديان، صفحة ١٩٣ إلى ١٩٩.

الدرس العاشر

العقيدة المسيحية

من هو المسيح؟

إن كلمة المسيح تعني في الأصل ـ بحسب استعمالاتها في العهد القديم ـ الممسوح بالدهن أو بالزيت لخدمة الله تعالى.


السيد المسيح ـ بريشة أوروبية

ويرجع أصلها إلى أن يعقوب كان قد وضع حجراً تحت رأسه، وأقامه عموداً، ومسحه للرب، ثم تطورت شيئاً فشيئاً إلى مسح الناس في خيمة الاجتماع، أو في أيام الأفراح والأعياد بدهن مقدس، وكانوا يمسحون الكهنة والملوك والأنبياء. فيقال لكل من الملك والنبي والكاهن إنه المسيح.

وقد ورد أن مسيح الرب هو داود[1]، وداود عند اليهود والنصارى من الملوك وليس من الأنبياء. وورد: «ولبني هارون تصنع أقمصة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء، وتلبس هارون أخاك وبنيه معه، وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنوا لي»[2]. كما أمر الرب إيليا ان يمسح ياهو بن غشي ملكا على إسرائيل، واليشع بن شافاط نبيا عوضاً عنه[3].

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٥٩.
(٢) سفر الخروج، ٢٨ ـ ٤١.
(٣) سفر الملوك الأول، ١٩ ـ ١٥ ـ ١٦.

فلا بد لتعيين المراد من لفظ «المسيح» من ملاحظة القرائن العامة والخاصة لمعرفة أي معنى من المعاني هو المراد.

المسيح في العهد الجديد

لم يتصرف العهد الجديد في مصطلح «المسيح» الوارد في العهد القديم، بل أبقى دلالته على المعاني الثلاثة واستعمله فيها، ولكنه حاول تطبيقها على شخص السيد المسيح عليه السلام:

فقد عبر عنه بأنه نبي في مختلف المناسبات، وكان آخرها على لسان تلاميذه حيث قالوا بأن «يسوع الناصري كان مقتدراً في العمل والقول عند الله والشعب كله..»[1].

وافتتح متى إنجيله بقوله عند ولادة المسيح بأنه قد جاء وفد من المجوس من المشرق إلى أورشليم وسألوا اين يولد ملك اليهود. كما اتفق الإنجيليون الأربعة على أن محور محاكمته ووشاية اليهود به هو ادعاؤه أنه ملك اليهود.

وفي رسائل بولس أن المسيح كان كاهناً على رتبة ملكي صادق، وأنه أعظم الكهنة.

ومما يكشف عن محاولة التطبيق هذه ـ رغم أنه لا يمكن اجتماع المعاني الثلاثة في شخص واحد، طبقاً لتشريعات التوراة ـ أن يوحنا قد ذكر في إنجيله أنه كتبه ليؤمن الناس أن يسوع هو المسيح[2]، كما سأل تلاميذه ذات مرة أنه بنظرهم من يكون فأجاب بطرس بأنه المسيح.

لاهوت المسيح

منذ أواخر القرن الثاني للميلاد وبداية القرن الثالث، عندما تنصّر ترتليان ـ وقد كان وثنياً قبل ذلك ـ وابتدع فكرة الأسرار الالهية الثلاثة: سر التجسد، وسر الثالوث، وسر الفداء، أخذت تتبلور العقائد المسيحية اللاهوتية بشكل رسمي، واختص ترتليان

(١) إنجيل لوقا، ٢٤ ـ ١٣ ـ ١٩.

(٢) إنجيل يوحنا، ٢٠ ـ ٣١.

بلقب «أبو اللاهوت المسيحي»، وأخذت عبارة الآباء «لقد صار ابن الإله إنساناً ليستطيع الإنسان أن يصير إلهاً» تتردد على ألسنتهم حتى الآن.

تجسد الإله

لقد كانت الكنيسة الأولى ترفض كل الآلهة الأرضية، بل الله تعالى هو الإله الوحيد، وهو إله الآباء الأولين وإله يسوع المسيح، وكان ذلك متطابقاً مع ما ورد في العهد القديم:

- أنا الأول والآخر ولا إله غيري[1].
- إني أنا هو لم يكن إله قبلي ولا يكون إله بعدي[2].
- الله ليس إنسانا[3].
- وهو يرى كل شيء ولا يراه أحد[4].

وقد ختم المسيح هذه الدعوة في آخر حياته معهم، حيث يقول مخاطباً الله تعالى: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك»[5].

وقال لمريم المجدلية - بعد حادثة الصلب - «ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني اصعد إلى أبي وأبيكم والهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا»[6].

وقد بدأت الخلافات بين المسيحيين تظهر بعد ارتفاعه مباشرة، رغم ان التلاميذ لم يحيدوا عن الطريق التي رسمها لهم، وتطورت هذه الخلافات بعد دخول الوثنيين في الديانة الجديدة، فتشكلت الفرق والمذاهب بتأثير من التيارات

(١) سفر اشعياء، ٢٤ ـ ١٠.

(٢) اشعياء، ٤٣ ـ ١٠.

(٣) العدد، ٢٣ ـ ١٩.

(٤) اشعياء، ٥ ـ ٦.

(٥) إنجيل يوحنا، ١٧ ـ ٣.

(٦) يوحنا، ٢٠ ـ ١٧ ـ ١٨.

الفكرية المتناقضة، وبرزت رؤيتان متباينتان حول شخص السيد المسيح:


لقاء مريم بعد قيامته

الأولى: تقول إنه إنسان اصطفاه الله تعالى بالرسالة والنبوة، وهو ما كان يعلمه التلاميذ، ويمكن استكشافه من الأناجيل الأربعة، بل ومن رسائل بولس أيضاً.

الثانية: تقول بأنه إله ظهر بصورة إنسان، وأن جسده كان خيالياً، ولم يكن جسداً حقيقياً، وهذه النظرة هي التي كانت تتبناها المذاهب المتأثرة بالغنوص اليوناني.

وشيئاً فشيئاً تكونت الفكرة الثالثة القائلة بأنه إله كامل وإنسان كامل، أي انه شخص واحد ذو طبيعتين إلهية وبشرية، وهذه الفكرة هي التي تبنتها الكنيسة عموماً بعد مؤتمر نيقيا، ولعل هذا ما يفسر غياب التلاميذ عن مسرح الأحداث بالمرة، حتى نرى الآباء يصرحون بأنهم لم يؤمنوا بألوهية المسيح ـ أي بالعقائد الكنسية ـ إلا بعد رحيله بزمن، رغم تصريح المسيح بأنهم أعطوا مفاتيح السماوات، وأمره لهم بأن يذهبوا ويعظوا بين الأمم، وغير ذلك مما يدل على علو مقامهم وصدق إيمانهم وإخلاصهم له.

وقد قررت الكنيسة أن المسيح إله كامل وإنسان كامل، لأنه إن كان إلهاً فقط وكانت إنسانيته مجرد وهم وخيال فلا يمكن أن يدخل الإله إلى حياة البشر ليقدسها ويخلصها، وان كان إنسانا فقط فلا يمكن للإنسان أن يرقى إلى الحياة الإلهية، ولو كانت الطبيعة الإلهية فيه منفصلة عن طبيعته الإنسانية فلا يمكن للإنسانية أن تتأله.

وبهذا أجابت الكنيسة على المذهبين المتقدمين.

مسألة الثالوث

تقدم ان مبتدع عقيدة التثليث هو ترتليان، القادم من الوثنية إلى المسيحية، في أواخر القرن الثاني، غير أن هذه العقيدة لم تظهر بصورتها النهائية في ذلك

الحين، بل ترافقت مع ردات فعل عنيفة، هزت آركان الكنيسة من الداخل، واستمر الصراع يظهر تارة ويخبو أخرى، حتى كانت حركة آريوس أسقف الإسكندرية، الذي دعا الى بشرية السيد المسيح، مما أدى إلى انعقاد مجمع نيقيا سنة٣٢٥، ثم اتبع بمجمع إنطاكية سنة ٣٤١ حيث أعلنت ألوهية المسيح بشكل نهائي، ولكنها أبقت على أن جوهره مغاير لجوهر الله تعالى.

وهذا ما تبنته الكنيسة الكاثوليكية والإنجيلية حيث أعلنتا أن الأقانيم الثلاثة - الأب والابن والروح القدس - متغايرة في جوهرها، ولكنها تشكل بمجموعها الإله الواحد الكامل.

وأما الكنيسة الأرثوذكسية فذهبت إلى أنه لا تغاير بين هذه الأقانيم في الحقيقة والذات، وإنما التغاير مقتصر على المرحلة التي تلبست فيها الألوهية، فالإله قبل التجسد هو الأب، وهو نفسه بعد التجسد أي بعد حلوله في الجسد الآدمي هو الابن، وبعد صلبه وقيامته هو الروح القدس.


صلب المسيح

صلب المسيح والفداء

تمثل عقيدة الفداء النقطة المركزية التي تدور حولها رحى الديانة المسيحية، حيث يعتقد المسيحيون أن الإنسان لا يمكن ان يتبرر (من البر) إلا بوجود فداء يفديه عن الخطيئة الأصلية التي حصلت لآدم وحواء في بدء الخليقة، ولهذا لا بد أن يكون الفداء على قدر الإنسانية كلها، لهذا كان مجيء المسيح وصلبه ليفدي خطيئة العالم، أي أنه قتل ومات كفارة عن خطايا الإنسانية وذنوبها «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد...».

فلا يحتاج الإنسان إلى الأعمال التي تقربه من الله تعالى، ولا إلى فعل الخيرات، وإنما الذي يكفيه ويبرره (يجعله برا) هو الإيمان بألوهية المسيح وصلبه

وموته كفارة عنه، فينجو ويدخل ملكوت السماوات «من آمن به لا يدان ومن لا يؤمن به قد دين»..

وقد اختلفوا في بداية عصر الرسل الى طوائف: طائفة قالت بأنه لم يصلب وانما شبه لهم، وأخرى ذهبت إلى أنه قد انفصل ناسوته عن لاهوته وصلب ناسوت المسيح أي الجانب البشري من يسوع، وأما لاهوته أي الجانب الالهي منه فقد ارتفع قبل صلبه، وثالثة قالت بأنه قد صلب ومات وقام من الأموات بكلّيته، ويبدو أن المؤسس لهذه الفكرة هو بولس الرسول «إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب». «والمسيح صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون من علق على خشبة». وهذه العقيدة هي التي بقيت واستمرت في ما بين المسيحيين.

مستند عقيدة الصلب

لقد ذكر كتّاب العهد الجديد عدداً من النبوءات ـ على لسان السيد المسيح نفسه ـ تتحدث عن هذه الواقعة، مستدلين بها على صلب المسيح أهمها آية يونان النبي، وقد ذكرها الإنجيليون الأربعة، وهي بحسب متى: «حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد ان نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل فاسق وشرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا، يكون ابن الانسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»[1]..

إلا أن ما حدث في الخارج لا ينسجم مع هذه النبوءة، حيث ذكر الإنجيليون أن المصلوب قد صلب مساء الجمعة، وذهبوا اليه عند فجر الأحد، فالمجموع يوم واحد وليلتان، إذا كانت الجثة قد اختفت لحظة مجيئهم اليه، مع أنه يحتمل ان يكون قبل ذلك.

والإنجيليون ذكروا أيضا أن تلاميذ المسيح أنفسهم لم يكونوا يعرفون أنه سيموت ويقوم من بين الأموات، فلما جاءت المخبرة إليهم، وقالت بأنها رأته بعد قيامته، تراءى لهم كلامها كالهذيان ولم يصدقوها.

(١) إنجيل متى، ١٢ ـ ٣٨.

الدرس الحادي عشر

الكتاب المقدس

الكتاب المقدس

الكتاب المقدس عند المسيحيين ينقسم إلى قسمين: العهد القديم والعهد الجديد.

العهد القديم

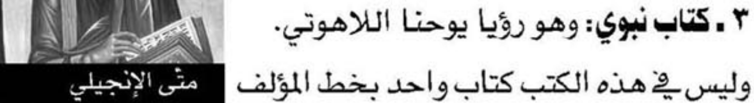
تحدثنا في ما سبق عن العهد القديم كما يعتقد به اليهود، ولكن هناك نسخة منه كتبت باللغة اليونانية مترجمة من العبرية، وهي تختلف عن الأصل العبري اختلافاً يسيراً، وتشتمل على أقسام ليست موجودة في النسخة العبرية أطلق عليها أبوكريفا (Apocrypha)، وأصبحت مثاراً للشك من العصور القديمة إلا أنها نالت إقبال النصارى وهي تتضمن عشرة أسفار: طوبيا، يهوديت، استير، الحكمة، يشوع بن سيراخ، باروخ، صحيفة إرميا، دانيال، المكابين الأول، المكابين الثاني . والأرثوذكس والكاثوليك من المسيحيين يطلقون عليها صفة «القانونية الثانية»، بمعنى أنها أدخلت في قانون الإيمان في مرحلة لاحقة، وأما البروتستانت فيسمونها «منتحلة».

العهد الجديد:

يتألف العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً، كتبت جميعها باللغة اليونانية، وهي موزعة على ثلاثة أقسام:

١ ـ **الكتب التاريخية**: وهي التي تؤرخ شيئاً من تاريخ المسيح وتلاميذه، وهي خمسة: إنجيل متى، مرقص، لوقا، يوحنا، أعمال الرسل. ومتى ويوحنا من الحواريين فيما مرقص ولوقا من حواريي الحواريين. ويغلب على الأناجيل الثلاثة الأولى طابع الانسجام في ما بينها وتسمى بالأناجيل الإزائية.





٢ ـ **الكتب الرعائية أو التعليمية**: وهي ثلاث عشرة رسالة لبولس، يضاف إليها الرسالة إلى العبرانيين ورسالة ليعقوب ورسالتان لبطرس وثلاث رسائل ليوحنا ورسالة ليهوذا.

٣ ـ **كتاب نبوي**: وهو رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وليس في هذه الكتب كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هي «كلها نسخ أو نسخ النسخ التي كتبها المؤلف أو أملاها إملاء»[١]..

ولم تدخل هذه الأسفار قانون العهد الجديد دفعة واحدة، كما أن القانون لم يكن منحصراً فيها، فقد بقيت النزاعات حولها بين القبول والرفض حتى انعقاد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م. حيث أقرت قانونيتها دون سواها.

أما الأناجيل فكانت تزيد عن الأربعين إنجيلاً، رفضتها الكنيسة ما خلا الأربعة، وأما الرسائل فهناك عدد من الرسائل دخلت أول الأمر في القانون، مثل رسالة برنابا، ورسالة الراعي لهرمس، وغيرهما.

ويمكن القول على العموم، إننا إذا استثنينا رسائل بولس، فلم يخل كتاب من الكتب دخل القانون دفعة واحدة، ودون عناء.

تاريخ الأناجيل

يعتقد المسيحيون أن المسيح لم يأت بكتاب منزل ـ كما هو الحال في التوراة

(١) مدخل إلى العهد الجديد، موسوعة المعرفة المسيحية ص١٨.

والقرآن الكريم ـ بل كانت دعوته عبارة عن الكرازة، والوعظ، وشفاء المرضى، وإحياء الموتى، والدعوة إلى الله عبر تعليم شفوي، استمر بعده على أيدي التلاميذ والرسل حوالى أربعين سنة، حيث بدأ بعض التلاميذ بكتابة سيرة وأعمال السيد المسيح عليه السلام وأسموها «أناجيل».

وقد كانت هذه الأناجيل تزيد عن الأربعين إنجيلا، بعضها منسوب إلى تلاميذ المسيح أنفسهم، وقد كتب قسم كبير منها قبل الأناجيل القانونية المعروفة، أخفتها الكنيسة جميعها ومنعت التداول بها، وأهم هذه الأناجيل إنجيل العبرانيين الذي يؤكد على تكريم التوراة والالتزام بأحكامها، بل «فيه توكيدات متواترة أن الإنجيل تصديق وتفصيل للتوراة يشعر بضرورة التوراة مع الإنجيل، لإقامة أحكام التوراة والإنجيل معاً»[1].

ويذهب كثير من الباحثين المتأخرين إلى أن العبرانيين هو إنجيل متى العبراني، قبل ترجمته إلى اليونانية، ولكنه فقد بعد ذلك.

وعلى فرض صحة ذلك، فإن الإنجيل المترجم لا يحكي الإنجيل الأصل في كثير من مضامينه، فإن إنجيل العبرانيين هو الذي عملت به طائفة النصارى التي أبيدت في ما بعد.

وهذا من مشاكل الترجمة، قال الحداد: «يلاحظ العلماء أن ترجمات الكتاب المقدس لم تكن حرفية اللفظ والمعنى، بل أحيانا ما كانت تفسيراً توسيعياً أي تفصيلا للكتاب المقدس»[2].

إلا أن الأناجيل الأربعة القانونية قد أقر العمل بها دون سواها بعد مجمع نيقيا عام ٣٢٥م. وأما قبل ذلك التاريخ فلم يكن العمل محصوراً بها.

بل لا يوجد ما يثبت وجود هذه الأناجيل قبل ذلك التاريخ أصلا، إلا مجرد شهادة أو شهادتين في القرن الثاني ذكرت أسماء بعضها، دون إثبات أنها هي نفسها.

(١) القرآن دعوة نصرانية، ص١٢٧.

(٢) القرآن دعوة نصرانية، ص١٦٣.

كما أن النسخ الخطّية الموجودة والمكتشفة كلها تعود إلى ما بعد هذا التاريخ.

تحريف الأناجيل

رغم أن الأناجيل الأربعة مجهولة الكاتب، كما هو الحال في أكثر أسفار الكتاب المقدس بعهديه، إلا أنها لم تسلم من التحريف والزيادة والنقيصة، على مر الزمن، ويكفي هنا أن نذكر شهادتين صادرتين من الآباء المسيحيين أنفسهم:

الأولى: قال الآباء اليسوعيون: «ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل إلى آخر الطباعة مثلا بمختلف ألوان التبديل في عدد كبير من القراءات.

والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصا أقرب ما يمكن إلى النص الأول، ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه»[1].

الثانية: قال الخوري بولس الفغالي: «... ويقول العلماء: لم يدون إنجيل يوحنا على يد كاتب واحد، ولو كان الرسول نفسه... هناك أجزاء جمعت، ومقاطع ضمتها الجماعة إلى الإنجيل لئلا يضيع شيء من التقليد الذي جاء به المسيح»[2].

والشهادات متواترة من الآباء والباحثين في الكتاب المقدس، بالتبديل والتحريف.

مضمون الأناجيل (قراءة نقدية)

إذا طالعنا الأناجيل بنظرة نقدية لما هو مشاع عند المسيحيين من عقائد ومفاهيم، سنجد فيها الكثير من الفقرات التي تتنافى مع تلك المفاهيم وتحتاج للتأويل لجعلها منسجمة مع هذه العقائد والمفاهيم، وهنا نطل على بعض المفاهيم من خلال الأناجيل:

(١) مدخل إلى العهد الجديد، موسوعة المعرفة المسيحية، ص٢١.

(٢) إنجيل يوحنا ـ دراسات وتأملات ص١٨.

المسيح إنسان

لا شك أن بعض الفقرات تدل على عدم إمكان كونه ذا طبيعة إلهية كما يقولون، فقد ورد في سفر اشعياء النبي - الذي يوليه المسيحيون أهمية عالية - قوله: «من أنت حتى تخاف من إنسان يموت، ومن ابن الإنسان الذي يجعل كالعشب، وتنسى الرب صانعك، باسط السماوات ومؤسس الأرض»[١].

ما معنى كلمة ابن الله الواردة في الأناجيل؟ هذه الكلمة تعني الاختصاص والكرامة الإلهية، والرسالة منه تعالى، وهو معنى موجود بحق عيسى وغيره في الأناجيل الأربعة، فنجد مثلا في انجيل يوحنا قوله: «أعطى (أي يوحنا المعمدان) الذين قبلوه أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه»[٢]. كما أن آدم ابن الله[٣]. وإسرائيل ابن الاله البكر[٤].

وقال المسيح: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون[٥]. «والذين هم للحياة الأبدية هم أبناء الله»[٦].

فإذا كانت عبارة ابن الله تعني أنه إله، فينبغي أن يكون هؤلاء كلهم آلهة، ولم يدّعِ أحد لهم ذلك، ولا يرضى به المسيحيون، مع أن تفسير يوحنا لأولاد الله بالمؤمنين باسمه يدل على إرادة هذا المعنى دون سواه.

وأما التعبير عنه بالرب فلا يدل على ارادة الالوهية بحال، فإن الرب بمعنى السيد والمعلم ونحوه، وقد ورد تفسيرها بذلك في إنجيل يوحنا، عندما نقل حوارا بين يسوع وبين مريم المجدلية: «فقالت له: «ربوني» الذي تفسيره يا معلم»[٧]، وأقر تلاميذه على مناداته به، لأنه هو كذلك حسب التعبير الوارد عنه..

---

(١) سفر اشعياء: ٥١ - ١٢ - ١٣.
(٢) يوحنا: ١ - ١٢.
(٣) لوقا: ٣ - ٣٨.
(٤) سفر الخروج: ٤ - ٢٢ - ٢٣.
(٥) متى: ٥ - ٩.
(٦) لوقا: ٢٠ - ٣٦.
(٧) يوحنا: ٢٠ - ١٦.

المسيح نبي

تطالعنا الأناجيل الأربعة، وعلى طول دعوة المسيح، بالحديث عن أنه نبي وكاهن، وظيفته الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الله الواحد، طبقاً لشريعة موسى عليه السلام وهو ما كان تلاميذه يعملون به أيضا، وكذلك كان شائعاً بين الناس أنه نبي مرسل لا أكثر.

لم يستطع أن يصنع معجزة في الناصرة لأنهم لم يؤمنوا به، وخرج منها بعد يومين وقال «انه ليس لنبي كرامة في وطنه»[1].

وتوجه الى الله في نهاية المطاف قائلا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته»[2].

وكذلك تلاميذه كانوا ينادونه بالمعلم والسيد وأقرهم على ذلك[3]، وأحيى ميتاً وهو في طريقه إلى مدينة تدعى «نايين» فصرخ تلاميذه ورفاقه ورفاق الجنازة قائلين: «لقد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه»[4]..

واستمر تلاميذه - وهم أهل سره والعارفون بكل أحواله، فقد كان يعلمهم كل شيء، ويفسر لهم وحدهم كل الأمثال التي كان يذكرها في مقام الوعظ والبشارة، حتى أعطي لهم أن يعرفوا سر الملكوت - باعتقادهم بنبوته إلى ما بعد رحيله، فقد جرى حوار بينه وبين تلميذين من تلاميذه، بعد قيامته! وسألهما عما يتحدثان به فقالا له إنهما يتحدثان عن الأمور المختصة «بيسوع الناصري، الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب»[5].

المسيح والجهاد

إن المسيحيين كانوا وما زالوا يرددون أن مهمة المسيح عليه السلام اقتصرت على

(١) انجيل متى: ١٣ - ٥٤ - ٥٨. وأجمع عليها الأربعة.

(٢) انجيل يوحنا: ١٧ - ٣ - ٤.

(٣) انجيل يوحنا: ١٣ - ١٣.

(٤) انجيل لوقا: ٧ - ١١ - ١٦.

(٥) إنجيل لوقا: ٢٤ - ١٩.

الهداية إلى ملكوت السماء، وأن صلبه جاء تكفيراً عن خطايا البشر، ولكننا نجد في الكثير من نصوص الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان مجاهداً وثائراً، سعى جاهداً لإنقاذ المستضعفين من مخالب الظالمين، وفي ما يلي نستعرض بعض النماذج:

١ ـ **السيف بدل السلام:** «لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً، جئت لأفرّق بين المرء وأبيه، والبنت وأمّها، والكنّة وحماتها، فيكون أعداء الإنسان أهل بيته»[١]. ونجده يؤكد على أصحابه أن يتبعوا نهج الكفاح المسلّح، فحينما علم أن إلقاء القبض عليه بات أمراً وشيكاً، وعلم أيضاً أنه سيعامل معاملة مجرم، وجّه هذه الكلمات لأصحابه «من لم يكن عنده سيف فليبع رداءه ويشتره»[٢]، ولكن دعوته هذه لم تجد آذاناً صاغية، مما حال دون الاستفادة من السلاح في تلك الظروف الحرجة مما حدا بالمسيح إلى مناشدة أصحابه بعدم مواجهة العدو «وإذا واحد من الذين مع يسوع قد مد يده إلى سيفه، فاستله وضرب خادم عظيم الكهنة، فقطع أذنه، فقال له يسوع: إغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك»[٣].

٢ ـ **صليب الشهادة:** يقدس المسيحيون الصليب كرمز لصلب المسيح الذي جاء تكفيراً عن خطايا البشر، وقد ورد عن المسيح قوله «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني»، ومعنى حمل الصليب هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للتضحية في سبيل الله. وقد تمثّل ذلك في قول دعبل شاعر أهل البيت عليهم السلام : «إني أحمل خشبتي منذ أربعين سنة، ولا أجد من يصلبني عليها»[٤].

٣ ـ **اختراق تنظيمات العدو:** أوصى عيسى أتباعه وتلامذته مراراً بالإفصاح عن هويتهم أمام الناس، إلا أنه أذن لأحد تلامذته بالمشاركة في جلسات المجمع

(١) متى: ١٠ ـ ٣٤ ـ ٣٦.

(٢) لوقا: ٢٢ ـ ٣٧.

(٣) متى: ٢٦ ـ ٥١ ـ ٥٢، مرقس: ١٤ ـ ٤٧، لوقا: ٢٢ ـ ٥٠ ـ ٥١، يوحنا: ١٨ ـ ١٠ ـ ١١.

(٤) عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٢٥.

اليهودي (سنهدرين) مستخفياً، لأنه يصب في صالح الأهداف العليا للرسالة، وبقي يتابع هذه المهمة إلى أن أُلقي القبض على المسيح وتم صلبه ـ بحسب الظاهر ـ وتخلى عنه أتباعه، في هذه الظروف انطلق التلميذ المذكور إلى الحاكم الجائر وطلب منه جثمان عيسى حيث أخذه ودفنه باحترام بالغ.

«جاء رجل اسمه يوسف، وهو عضو في المجلس، وامرؤٌ صالح بارّ لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم، وكان من الرامة، وهي مدينة لليهود، وكان ينتظر ملكوت الله»[١].

٤ ـ **الله وقيصر**: قيل إنه جاء في الأناجيل «أوكلوا عمل قيصر لقيصر وعمل الله لله». ولكن ينبغي أن يُعلم أن العبارة في الأناجيل هي «أدوا لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله» وأنها وردت في حال التقية، فكما تنقل الأناجيل «فترصّدوه وأرسلوا جواسيس يظهرون أنهم من أهل الورع، ليأخذوه بكلمة فيسلموه إلى قضاء الحاكم وسلطته، فسألوه: يا معلم نحن نعلم أنك على صواب في كلامك وتعليمك لا تُحابي أحداً، بل تعلّم سبيل الله بالحق، أيحلّ لنا أن ندفع الجزية إلى قيصر أم لا؟ ففطن لمكرهم فقال لهم: أروني ديناراً ! لمن الصورة التي عليه والكتابة؟ فقالوا: لقيصر، فقال لهم: أدّوا إذاً لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله»[٢].

---

(١) لوقا: ٢٣ ـ ٥٠ ـ ٥١.

(٢) لوقا: ٢٠ ـ ٢٠ ـ ٢١، متّى: ٢٢ ـ ١٥ ـ ٢٢، مرقس: ١٢ ـ ١٣ ـ ١٧.

٣

الفصل الثالث

ديانات أخرى[١]

(١) هذا الفصل مستفاد من كتاب دروس في تاريخ الأديان لمؤلفه حسين توفيقي.

الدرس الثاني عشر

الهندوسية

تعريف الهندوس

كان يطلق على دين الهندوس قديماً اسم البرهمية نسبة إلى براهما إله الهندوس، ولم يعرف لها مؤسس يمكن الرجوع إليه. بل هو دين متطور عن أديان قديمة يتضمن مجموعة من التقاليد والأوضاع الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها. وقد ترك هذا الدين بصمات واضحة على حضارة الهند وعلى حياة سكانها الفردية والجماعية.

أصول الديانة الهندوسية

أصول الديانة الهندوسية عبارة عن الاعتقاد بالكتب القديمة والطقوس الدينية للبراهمة واحترامها، وعبادة الآلهة التي ظهرت في الأدوار القديمة، والاعتقاد بالتناسخ، ورعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في أسلوب المعيشة والزواج، واحترام الموجودات الحية أيضاً لاسيما البقرة التي هي من أصول دينهم.

إن لفظة «أم» التي تعني آمين، لفظة مقدسة للغاية عند الهندوس، لأنها الاسم الأعظم الإلهي، وهذه النظرة تشبه إلى حد بعيد نظرة اليهود إلى لفظة يهوه التي هي الاسم الأعظم.

الكتب المقدسة

جمعت أدعية ومعتقدات الهندوس في مجموعة أطلق عليها اسم الفيدا (Vedas) التي تعني العلم في اللغة السنسكريتية، وعرفت بـ«شروتي» (Sruti) التي تعني الوحي والإلهام أو العلوم المقدسة الموروثة.

ويعتقد المؤرخون أن تصنيف مجموعة الفيدا يعود إلى ما بين ١٤٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م. والفيدات عبارة عن أربعة كتب دينية هي:

١ ـ ريغ فيدا (Rig-Veda) وضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها.

٢ ـ ياجور فيدا (Yajur-Veda) وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣ ـ ساما فيدا (Sama-Veda) وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤ ـ آثارفا فيدا (Atharva-Veda) وآثارفا اسم مصنّف هذه الفيدا.

وقد بلغت طقوس القرابين حد الإفراط مما ألحق أضراراً بالغة في الإقتصاد، مما دفع بالبراهمة إلى التفكير في إصلاح الدين من خلال إعداد البراهمانات، وهي تشتمل على قسمين:

أ ـ أرنياكات (Aranyakas) وتضم المسائل الضرورية للمرتاضين.

ب ـ أبانيشادات (Upanishads) وتعني الجلوس عن قرب، كناية عن تعلّم أسرار الدين. وقد حاز الأخير على شهرة واسعة، وهذا الكتاب يلج عمق الفيدات ويجذب انتباه الناس إلى أن هذه الآداب الظاهرية تنطوي على أسرار ومفاهيم باطنية.

الآلهة الثلاثة

إن الآلهة الثلاثة للهندوس عبارة عن:

١ - برهما (Brahma) رب الخلق.

٢ - شيفا (Siva) رب الفناء والدمار، وقد انتشرت تماثيله ذات الأيدي الأربع في حالة الرقص، ويدل رقص شيفا على دوره الهام في الدمار والفناء.

شيفا

٣ - فشنو (Vishnu) رب الحفظ.



فشنو

والتجليات العشر لهذا الإله على طول التاريخ عبارة عن: السمك، السلحفاة، الخنزير الوحشي - موجود على هيئة نصف إنسان ونصف أسد، القزم، راما (Rama) وبيده طبر، كريشنا (Krishna)، بوذا (Buddha)، وكلكي (kalki) وهذا الأخير هو الموعود به في آخر الزمان لإصلاح العالم، يظهر على فرس أبيض شاهراً سيفه.



كلكي

وقد تشعبت الهندوسية إلى فرق لا حصر لها، وهي تعيش مع بعضها البعض في صلح وصفاء، وأقبلت كل فرقة على عبادة إله من الثلاثة، ويشكل أتباع شيفا وفشنو نسبة عالية منهم.

آلهة الفيدا

آمن الهندوس بعدد ضخم من الآلهة السماوية والأرضية، وذكروا لها أسماء وصفات عجيبة وغريبة، وأقاموا لكل منها هياكل عظيمة، وترتبط هذه الآلهة في ما بينها بروابط نسبية وسببية.

وقد نقلت كتبهم المقدسة الكثير من التفاصيل عن الصفات الجسمية والنفسية


كالي

لهذا العدد من الآلهة، ويعتبر الاعتقاد بتجلي الآلهة على هيئة إنسان أو حيوان في أدوار مختلفة، من المعتقدات التي حازت على اهتمام واسع. وقد صنّفت الآلهة وفق الطبقات الاجتماعية السائدة، ومن أشهرها: اغني (Agni) إله النار، فارونا (Varuna) إله السماء، ايشفارا (Isvara) إله القوة والقدرة، رودرا (Rudra) إله الخوف والفزع، راما (Rama) إله العواطف، كريشنا (Krishna) إله الماء الصافي، ياما (Yama) إله الموتى وحاكمهم، اشفين (Asvin) وتعني الفارس وتطلق على ملكين اثنين من ملائكة الهندوس الذين يعتقدون أنهما يمنحان الصحة والسعادة والغنى، كالي (Kali) تعني أسْود وهي قبيحة المنظر ويقدمون إليها هدايا من عمليات السلب والنهب.

نظرية التناسخ

طبقاً لقانون كارما (Karman) الذي يعني العمل، فإن الإنسان سيرى نتيجة عمله في أدوار الرجوع إلى الدنيا مجدداً، فمن يعمل خيراً فإنه يحظى بعد رجوعه إلى الدنيا بحياة طيبة سعيدة، ومن يعمل شراً فإنه يحيا بعد رجوعه في تعاسة وشقاء، وقد يتجلى بهيئة حيوان. وحسب نظرية التناسخ فإن رجوع الإنسان يمكن أن يتزامن مع إحدى الصور الأربع، وهي:

١ ـ الرسخ، ويعني حلول روح المتوفى في الجمادات.

٢ ـ الفسخ، ويعني حلول روح المتوفى في النباتات.

٣ ـ المسخ، ويعني حلول روح المتوفى في الحيوانات.

٤ ـ النسخ، ويعني حلول روح المتوفى في الإنسان.

ويعتقدون أن الإنسان في دوامة التناسخ في هذا العالم، والمنقذ الوحيد له هو اللحوق بنيرفانا (Nirvana) وتعني هذه الكلمة الخمود والهدوء، واصطلاحاً الفناء في الله.

فلسفة اليوغا

يعتقد الهندوس أن الوصول إلى الحقيقة أو الاتحاد بالإله القادر يتم عبر طريقة اليوغا، وتعني وضع القيود، وهي رياضة صعبة وصارمة، يجلس فيها المرتاض جلسة القرفصاء، ويستغرق في السكون والتأمل طويلاً، وثمة أساليب أخرى متداولة مثل الوقوف منكوساً، الانحناء وتعليق اليدين، الجلوس على سرير مشحون بالمسامير. هذه الأعمال قد تستمر لعقود يرافقها أمور صعبة للغاية كوضع الماء أمامه والبقاء في حالة الظمأ. وقد جاءت آداب وشرائط اليوغا في كتاب بتانجالي (Patanjali).

الثقافة والتربية الفيدائية

بلغت سطوة رجال الدين الهندوس أوجها في حدود القرن السادس قبل الميلاد حيث ساد نظام طبقي صارم، ألقى بظلاله على بلاد واسعة كالهند وما تزال آثاره باقية إلى اليوم، ويصنف المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات:

١ ـ البراهمة (Brahmanas) وهم طبقة الكهنة ورجال الدين.

٢ ـ الكشتريا (Kshartrias) وهم طبقة الملوك والأمراء والمقاتلين.

٣ ـ فيشيا (Vaisyas) وهم طبقة التجار والمزارعين.

٤ ـ الشودرا (Sadras) وهم أصحاب المهن السافلة والخَدم.

ويمنع شرعاً وعرفاً معاشرة أفراد كل طبقة من الطبقات المذكورة للطبقات الأخرى، لاسيما الطبقة الأخيرة، حيث يحظر الاتصال بها، بل النظر إليها من

قبل أفراد الطبقات العليا، ويعد تجاوز ذلك من الذنوب الكبيرة التي لا تغتفر.

وهناك طبقة أدنى من الطبقات الأربعة المذكورة وهي طبقة المنبوذين (Untouchables) وأفراد هذه الطبقة هم سكان الهند الأصليون من غير الآريين، ويحظر على هؤلاء مخالطة أفراد سائر الطبقات والتردد إلى أماكن سكنهم، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك كالقيام بجمع القمامة مثلاً، وإذا أرادوا ذلك فعليهم أن يرفعوا صوتهم معلنين عن طبقتهم، كي لا تقع أنظار الطبقات العليا عليهم، وفي غير هذه الصورة يجب على من نظر إليهم التطهّر بالغسل، كما يتم البيع والشراء معهم من بُعد كأن يضع النقود في مكان خاص وينادي بالمتاع الذي يبغيه ويتوارى عن الأنظار.

كما يحظر عليهم الاستماع إلى تلاوة الكتاب المقدس، ومن استمع لها منهم يجازى بصب الرصاص المذاب في أذنيه.

ومن العجيب إيمان أهل الطبقة الدنيا بذلك وأنه نتاج الأعمال القبيحة التي ارتكبت في الماضي وحلت بهم عن طريق التناسخ! وقد ألغيت هذه السنن الاجتماعية رسمياً عام ١٩٥٥م. إلا أن آثارها ما تزال باقية.


نهر الكنج

ويحظى نهر الكنج (Ganga) الذي يغطي مساحات من الهند، بمرتبة عالية من القداسة عند الهندوس، ويعتبر الغسل فيه وخصوصاً في مدينة بنارس (Benares) عبادة مهمة.

مدينة بنارس

وراجت في أوساطهم القرابين كعبادة، لا سيما قرابين الخيول، ومن ثَم أقيمت هذه المراسم من أجل تلبية الحاجات.

ويعد أهيمسا (Ahimsa) الذي يعني الاحتراز عن أذى الحيوانات، أصلاً مهماً، وتمنع بعض التعاليم تناول لحوم الحيوانات، وتعتبره عملاً غير أخلاقي، ما ترك أثراً على أسلوب معيشة الهندوس.

والهندوس يحرقون أجساد أمواتهم وينثرون رمادها في نهر الكنج، وتزامن هذا العمل في الماضي مع نوم الزوجة في وسط ركام من الحطب وحرقها مع زوجها الميت، وإذا لم تتحمل هذه التضحية فإنها تحلق شعر رأسها وتبارح الوطن. ولما احتل الانكليز بلاد الهند عام ١٨٢٩م. منعوا حرق الزوجة حية، ولم يتخلف عن هذا المنع إلا القليل.

الدرس الثالث عشر

البوذية والسيخ

الديانة البوذية

تعريف البوذية

تعتبر الديانة البوذية إحدى فروع الديانة الهندوسية، إلا أنها تجاوزت حدود الهند وزحفت نحو الشرق الأقصى، واستطاعت أن تجذب أتباعاً كثيرين، وأخيراً اتسع نطاقها لتشمل أمريكا وأوروبا. وظهر في القرن الثامن والتاسع عالمان هندوسيان قاما بإصلاح الديانة الهندوسية، الأمر الذي أدّى إلى اختفاء الديانة البوذية من الهند شيئاً فشيئاً، وحلت محلها الديانة الهندوسية، وبقي انتشار البوذية الواسع خارج الهند.


بوذا

من هو بوذا؟

بوذا (Buddha) تعني الملهَم، وهو لقب غوتاما ساكياموني (Gautama Sakya-muni) مؤسس الديانة البوذية الإصلاحية، وحسب معتقدات البوذية فإن بوذا هو ابن ملك مدينة كبيلا فاستو (Kapila-Vastu) الواقعة شمال الهند، ولد عام ٥٦٣ق.م. وأطلق عليه في

البداية اسم سيذارتا (Siddhartha) يعني الذي حقق غايته، وكان في شبابه قد تزوج وعاش حياة رغيدة، ولكن في سن ٢٩ من عمره تسلل ليلاً من القصر وانخرط في سلك الرهبان، وبعد ست سنوات من الرياضة الشاقة والصارمة في الغابة خاب أمله في الوصول إلى الحقيقة عن طريقها فتخلى عنها وأخذ بالتأمل والتفكر والمراقبة الروحية، واستغرق هذا ست سنوات أخرى، ومن ثم أمضى ما يقرب من سبعة أسابيع في صراع عنيف مع مارا (Mara) يعني الشيطان، تحت شجرة عرفت في ما بعد بشجرة اليقظة، وفي النهاية رصد الحقيقة وتنورت بصيرته وصار بوذا عصره.

وجاب بوذا البلاد لمدة ٤٠ سنة في سبيل نشر دعوته، والتفت حوله مجموعة من الشباب علّمهم مبادئه ولقنهم دعوته، وأخيراً التحق بالنيرفانا عام ٤٨٣ ق.م. وهو في سن الثمانين.

أفكار بوذا

لما وصل بوذا إلى الحقيقة كما يُدّعى، انطلق إلى مدينة بنارس للعثور على الرهبان الخمسة الذين أعرضوا عنه، وكان يعتقد أنهم يبحثون مثله عن الحقيقة، الأمر الذي يتيح له تلقينهم مبادئه، وما أن وطأت قدماه أرض بنارس حتى التقى بهم، ودارت بينهم محاورة تتضمن مبادئه وأفكاره، سنعرض هذه المحاورة ضمن العنوانين التاليين:

فلسفة بوذا

- قالوا له: هل استنارت عيناك بالحقيقة أخيراً؟

- بوذا: نعم.

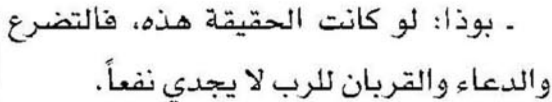
- الرهبان: ما هو سر الوجود وحقيقته؟

ـ بوذا: هل تعتقدون بالكارما (قانون جزاء الأعمال)؟

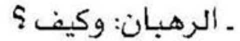
ـ الرهبان: نعم.

ـ بوذا: فاعلموا أنه بداية الحكمة ومعرفة الحقيقة، الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر، هذا هو القانون الأول للحياة، وكل ما سواه قائم به.

ـ الرهبان: لم تأت بجديد.



ـ بوذا: لو كانت الحقيقة هذه، فالتضرع والدعاء والقربان للرب لا يجدي نفعاً.



ـ الرهبان: وكيف ؟



صنم لبوذا

ـ بوذا: إن الماء ينحدر نحو الأسفل دائماً، والنار حارة أبداً، والثلج بارد دائماً، فلو تضرعتم بين يدي آلهة الهندوس جميعها لما أثر ذلك في تغيير مجرى الماء نحو الأعلى، وفي جعل النار باردة والثلج حاراً، فقوانين هذه الظاهرة لا تبطل، والتضرع والدعاء أمام الآلهة لا يجديان في إبطالها.

فبهتوا وأبدوا موافقة لهذا الكلام، فاسترسل بوذا قائلاً: إذا كان ما نطقت به حقاً فإن كتاب الفيدات الذي يرسم أسلوب الدعاء والتضرع والقربان بعيد عن الصواب، وأُعلن ـ وخلافاً لزعماء الدين ـ أن الفيدات ليست مقدسة.

تعجب الرهبان لهذه الجرأة وساورتهم الحيرة، وراحوا يسألون بوذا: هل تريد من ذلك القول أن برهما حينما خلق العالم لم يصنف الناس إلى طبقات اجتماعية مختلفة؟

ـ بوذا: لا أعتقد بالمرة أن برهما خلق شيئاً كي يكون العالم من صنعه.

ـ الرهبان: فمن هو صانع العالم؟

ـ بوذا: اعتقد أن العالم أزلي مستمر، ليس له مبدأ ولا نهاية، أيها الرهبان:

هناك حدان متناقضان يجب أن يبتعد عنهما الذين تخلوا عن الحياة الدنيا، الأول: الانسياق في الملذات، وهذا أمر سافل وعقيم، والثاني: هو طريق التقشف وإماتة الجسد، وهذا أمر مؤلم وعقيم أيضاً.

الأخلاق البوذية

ـ وأخيراً سأل الرهبان بوذا: فأيهما الصواب؟

ـ بوذا: وجدت بعد تفكير طويل طريقاً وسطاً يفتح العيون ويحفّز العقول، ويقود إلى الراحة والمعرفة والإشراق والنيرفانا، إنه طريق طويل ذو ثمانية مسالك هي:

١ ـ الاعتقاد الصحيح، ويعني الاعتقاد بأن الصدق يقود الإنسان نحو الفلاح.

٢ ـ العزم الصحيح، ويعني التحلي بطبيعة هادئة تمنعه من إلحاق الأذى بالحشرات والحيوانات.

٣ ـ القول الصحيح، بالابتعاد عن الكذب والتفوه بالكلام البذيء.

٤ ـ العمل الصحيح، بالاحتراز عن السرقة وتلطيخ الأيدي بدماء الآخرين.

٥ ـ العيش الصحيح، بتجنب ارتكاب الأفعال القبيحة، كأكل الربا، والاكتساب بمال السرقة.

٦ ـ الجهد الصحيح، بالسعي إلى الخير والهرب من الشر.

٧ ـ الفكر الصحيح، ويعني غلبة الهدوء وعدم إفساح المجال للفرح والحزن بأن يأخذهما إلى الفكر.

٨ ـ التأمل الصحيح، وهو ثمرة الخضوع للمسالك السبعة، وعندها سينال الهدوء الواقعي.

وهناك قيود تسعة تحدث عنها بوذا، وهي: الاجتناب عن أذى الدواب، الاجتناب عن السرقة، الاجتناب عن الخيانة، الاجتناب عن الكذب، الاجتناب عن المسكرات، الاجتناب عن الغرور، الاجتناب عن التفوه بالكلام البذيء، الاجتناب

عن الجهل، الاجتناب عن العداء.

الكتب البوذية المقدسة

ويعد ثري بيتكا (Tri-Pitaka) وتعني السلال الثلاث، من أقدم الكتب المقدسة عند البوذيين، ويشتمل على ثلاثة أقسام: قواعد الرهبنة، منهج الفلاح والصلاح، المفاهيم الفلسفية والنفسية.

وثمّة كتب مقدسة تختص بفرق بوذية مختلفة.

الفرق البوذية

انقسمت الديانة البوذية إلى ثلاث فرق:

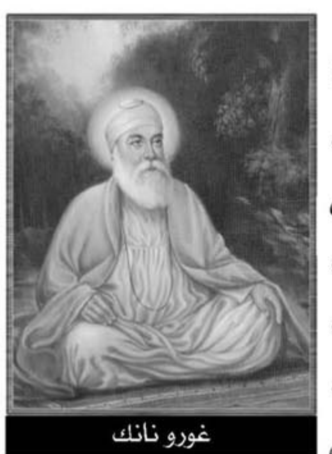
١ ـ المهايانا (Maha-Yana) (وتعني العجلة الكبيرة، وتنتشر هذه الفرقة في الصين، حيث اصطبغت ببعض سنن ديانات صينية ويابانية، ومن طقوسها التي حازت على شهرة عالمية الدهيانة، وتعني بالسانسكريتية التأمل، وتسمى في الصين جانغ (Chang) وفي اليابان زين (Ze).

٢ ـ الهينايانا (Hina-Yana) وتعني العجلة الصغيرة، وتنتشر هذه الفرقة في سريلانكا ودول جنوب شرق آسيا. ويطلق أتباع هذه الفرقة على ديانتهم اسم ثيرفاده (Theravada) أي ديانة السلف والعظماء.

٣ ـ الفيجريانا (Vajra-Yana) وتعني عجلة الألماس، وتنتشر هذه الفرقة في التيبت، حيث اختلطت الديانة البوذية هناك بالسحر والكهانة، وأوجدت لها مؤسسات دينية مقتدرة، ويطلق على هذه الفرقة أيضاً اسم اللامائية (Lamaism)، ويعرف زعيمها الديني باسم الدالاي لاما (Dalai Lama)، وقد اضطر الدالاي لاما في هذا العصر إلى مغادرة التيبت بعد زحف الشيوعيين إليها من الصين، والاستقرار في الهند، والمواظبة فيها على العبادة والإرشاد.

ديانة السيخ

تعريف السيخ


غورو نانك

تشعبت الديانة الهندوسية إلى فروع أخرى، أشهرها ديانة السيخ (sikh) وتعني التلميذ. فقد أدى التقاء الإسلام بالهندوسية في الهند عبر عصور مختلفة إلى إيجاد مذاهب مزدوجة، وفي هذا الإطار قام أحد عرفاء المسلمين الكبار ويدعى كبير (١٤٤٠ - ١٥١٨م) بإضفاء صبغة التوحيد الإسلامي على بعض العقائد الهندوسية، والتف حوله جمع غفير من الموالين والتلاميذ وأسس أحد هؤلاء التلامذة ويدعى نانك (Nanak) ديانة السيخ، وهو أوّل غورو (Guru) وتعني المعلم، تولى زعامة الطائفة السيخية، ثم أعقبه خلفاؤه التسعة، وازداد نفوذ هذه الطائفة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت كياناً سياسياً ودينياً مقتدراً.

ولد نانك عام ١٤٦٩م لأسرة تنتمي إلى طبقة الكشتريا، وتقطن إحدى قرى لاهور، تتلمذ على عرفان مسلمين وهندوس، وزار الدول الإسلامية، وقصد مكة للحج، وانتهى به المطاف إلى تأسيس الديانة السيخية، وبنى تعاليمه على أساس أقوال وتعاليم الأولياء والصوفيين من المسلمين والهندوس، توفي عام ١٥٣٩م.

التعاليم

أطلق نانك اسم (الحق) على الله تعالى، وكان يقول: إن الله مهما أطلق عليه من اسم فهو الحق القادر المتعال فقط، وإن السعادة والوصول إلى النيرفانا تكمنان في الاستغراق في ذكر الحق، وآمن بدوامة التناسخ، والكارما (قانون جزاء الأعمال)، وأباح لأتباعه أكل اللحوم، وألغى الفوارق الطبقية.

الآثار الدينية

شيّد الغورو أرجان (خامس زعماء الطائفة) معبداً وهيكلاً ضخماً مطلياً بالذهب في مدينة أمريتسار (Amritsar) بالهند، وألّف كتاب غرانت صاحب (Granth-Sahib) الذي يعد من أهم الكتب المقدسة عند السيخ.


معبد أمريتسار

التاريخ السياسي للسيخ

راجت بين السيخ على عهد الغورو غوبند سنغ (عاشر زعماء الطائفة) مسألة البيعة في القضايا السياسية، وأخذت هذه الطائفة تسلك طريق العنف، بعد أن كانت سلمية في البداية. ومنذ ذلك الوقت أطلقت على نفسها اسم الخالصة، أي العارية من التكلف، رفعت شعارات خمسة تبدأ كلها بحرف الكاف باللغة البنجابية:


السيخ

١ ـ الكيسا: إرسال شعر الرأس واللحى.

٢ ـ الكانكا: حيازة المشط.

٣ ـ الكاشا: ارتداء سروال قصير لا يتجاوز الركبة.

٤ ـ كارا: لبس سوار من الفولاذ.

٥ ـ كيَرّبان: حمل سيف أو خنجر من الفولاذ.

وقد شهد عهد الغورو العاشر وقوع صراع عنيف مع المغول، قتل فيه عدد كبير من أتباعه بينهم أبناؤه الأربعة، وطُرد من البنجاب، وكان قد أعلن انتهاء تعاقب المرشدين (الغورو) من السيخ بعده.

الدرس الرابع عشر

ديانة زرادشت

تمهيد

إن أقدم ديانة لسكان إيران الأصليين هي ديانة مغان التي ظهرت قبل زرادشت، وتعني كلمة: (مغوش) في لغة إيران القديمة الخادم، واصطلاح المجوس الذي يطلق في العربية على الزرادشتيين مشتق من الكلمة المذكورة (مغوش).

ويظهر من الكتب التاريخية أن ديانة مغان القديمة اتسمت بالثنوية (الإيمان بإله الخير وإله الشر) وآمنت بالبعث أيضاً.

ثم جاءت بعد ذلك ديانة ميترا، ويعتقد الميترائيون أن الإلهة ميترا ظهرت لأول مرة في الغار على هيئة إنسان، وآمنت بها مجموعة من الرعاة، ثم أمسكت ثوراً فذبحته ونثرت دمه على الأرض، فأي مكان سقطت عليه قطرة دم حل فيه الخصب، إلا أن الإلهة ميترا لم تبقَ طويلاً، بل صعدت عقب عدة سنوات إلى السماء، وظلت روحها على استعداد دائم لمعونة عبادها في الأرض، وحيث إنها ظهرت لأول مرة في الغار، فقد شيدت - من أجل عبادتها - المعابد والهياكل في المغارات والكهوف.

ويقال إن الكثير من معتقدات المسيحية ومراسمها قد أخذت من ديانة ميترا،

كمراسم الخبز والعسل التي تشبه إلى حد كبير مراسم الخبز والشراب عند المسيحي، وفي آخرها يمارسون عملية التعميد بدم ثور.

بعد استقرار الآريين في إيران، نهض مصلح اسمه زرادشت ودعا الآريين الذين سئموا الخرافات إلى دين جديد.


زرادشت

تعريف بزرادشت

اختلفت وجهات النظر حول زمان زرادشت، حتى قيل إنه ظهر سنة ٦٠٠٠ ق.م.، ولكن وفقاً للمشهور فإنه ولد سنة ٦٦٠ق.م. وبُعث سنة ٦٣٠ق.م.، وقتل سنة ٥٨٣ق.م. في بيت النار في مدينة بلخ بافغانستان إثر مداهمة المدينة من قبل الغزاة.

ويطلق على الزرادشتيين أسم المجوس أيضاً. وقد جاءت كلمة المجوس في القرآن الكريم إلى جانب أتباع بقية الديانات (الحج: ١٧). ويعتقد الكثير من علماء الإسلام أن الزرادشتيين من أهل الكتاب.

الكتاب المقدس

يسمى الكتاب السماوي للزرادشتيين أفِستا. ويعني الأساس واللبنة والمتن، وقد كتب باللغة الأفستائية التي كانت سائدة في إيران القديمة.

وكان أفستا في بداية الأمر محفوظاً في الصدور، ثم كُتب الخط المذكور، وقيل أنه أنجز بعد ظهور الإسلام.

ويقال إنه كان في الأساس ضخماً حتى قيل إنه نسخ على (١٢٠٠٠) جلد من جلود البقر، أما الأفستا الموجود اليوم فهو يضم (٨٣٠٠٠) كلمة. ويتألف أفستا من ٢١ نَسْكاً (كتاب أو قسم).

وينقسم آفستا إلى خمسة أقسام:

١ ـ الياسنا (أي العبادة والمهرجان)، ويطلق على مقطع منه اسم الغاثا (النشيد)، وهو أشهر أقسام أفستا، ويضم أدعية ومعارف دينية، ويُنسب إلى زرادشت نفسه، في حين تُنسب سائر الأفستا إلى زعماء ديانة زرادشت.

٢ ـ الفسبريد (الزعماء والأعيان)، ويشتمل على أدعية.

٣ ـ الفانديداد (القانون المضاد للشيطان)، ويُعنى بمسائل الحلال والحرام والطهارة والنجاسة.

٤ ـ الياشت (أدعية الأناشيد والتسابيح).

٥ ـ مجموعة نصوص قانونية أو الأفستا الصغير، ويتطرق إلى الأعياد والمراسم الدينية وأناشيدها.

ولدى الزرادشتيين إلى جانب أفستا كتاب تفسيري يسمّى زَنْد أفستا، وكتب مقدسة أخرى دوّنت باللغة الفهلوية.

عقيدة الثنوية

يعتقد الزرادشتيون بوجود إله خير، وإله شر (أهريمن)، أو إله النور وإله الظلمة، (ويُعتقد أن فكرة الثنوية تسربت إليهم من ديانة مغان)، ويعتقدون أيضاً بالإله الواحد المهيمن على إله النور والظلمة (آهورامازدا). ويعتقد الزرادشتيون أن أهريمن جابه العقل المقدس ولم يجابه آهورامازدا.



آهورامازدا

ويبلغ عمر الدورة الحالية للعالم ـ وفقاً لما ورد في ديانة زرادشت ـ ١٢٠٠٠ سنة، حكم فيها إله الخير طيلة ٣٠٠٠ سنة، ظلّ خلالها إله الشر متوارياً في الظلام، وعقب انتهاء الفترة المذكورة خرج إله الشر من الظلام، واصطدم بإله الخير الذي استمهله ٩٠٠٠ سنة، وهو

على يقين بأن النصر سيكون حليفه في نهاية المطاف، وإبّان هذه الفترة أخذ أحدهما يتحدى الآخر من خلال خلق الخير والشر، وبعد ٣٠٠٠ سنة خُلق زرادشت. ومن ذلك الوقت بدأ ميزان القوى يميل لصالح إله الخير وجنوده، واستمر في سيره الصعودي.

هناك ملائكة ستة يأتمرون بأمر آهورامازدا، أطلق عليهم اسم امشا سفندان، ويعني الخلود المقدس، ولهم زعيم يُدعى سفنتامainيو، ويعني العقل المقدس، ويعقب هؤلاء يزتات، وهم ثلاثون ملكاً، ينضوون تحت لواء العقل المقدس ضد أهريمن وجنوده.

آخر الزمان

ورد في الألفيات الزرادشتية أنه يُنتظر ظهور ثلاثة منقذين من نسل زرادشت يملؤون الدنيا خيراً وعدلاً، وهم:

١ - هوشيدر، ١٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٢ - هوشيدرماه، ٢٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٣ - سوشيانس (أو سوشيانت)، ٣٠٠٠ سنة بعد زرادشت، وبظهوره يصل العالم إلى نهايته.

خلود الروح

يعتقد الزرادشتيون بخلود الروح، وبقائها عند مفارقتها الجسم في عالم البرزخ إلى يوم القيامة، ويعتقدون أيضاً بالصراط، وميزان الأعمال، والجنة والعذاب، والجنة عندهم تشبه الجنة التي جاء وصفها في الإسلام، ولكن اعتقادهم بقدسية النار دفعهم إلى القول بأن مأوى العاصين مكان بارد جداً وقذر ومليء بأنواع الدواب التي تنزل نقمتها بهم وتؤذيهم.

تعاليم زرادشت

هناك أصول ثلاثة نادت بها ديانة زرادشت، هي: القول الحسن، والعمل الصالح، والفكر الحسن.

ومن أبرز مظاهر ديانة زرادشت احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النور، والإبقاء على شعلة النار مضطرمة، وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف ببيوت النار، وحثت أيضاً على العمران والزراعة والرعي واستيطان المدن، واحترام الحيوانات لاسيما الكلب والبقرة، كما تتمتع حسن المعاملة مع الناس بمكانة بارزة في هذه الديانة.

الوضع الحالي

غادر الزرادشتيون قبل ألف عام بلاد إيران، وتوجهوا إلى بومباي بالهند، ويبلغ عددهم فيها اليوم ١٥٠ ألف نسمة، كما يقطن نحو ٥٠ ألفاً منهم في يزد وكرمان وطهران.

فهرس